لنستوح من قصص الحياة

من خطب سماحة المرجع الديني

الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله)

دروس أخلاقية وتربوية من قصة قصيرة

أنصح دائماً الخطباء والمعلمين وأولياء الأمور وكل المهتمين بالتربية والإصلاح والإرشاد أن يستفيدوا من القصص والحوادث والوقائع في أداء رسالتهم، لأنّها تشدُّ المتلقي وتثبت في عقله ووعيه لترابط الأحداث فيها، وهذا يؤدي إلى رسوخ الفكرة لديه، وهذه الثمرات واضحة، فالخطيب مثلاً حينما يبدأ بعرض حكاية أو حادثة فتجد الحضور ينشدّون إليه ويصغون، فهذا الأسلوب ناجح ومثمر خصوصاً في تربية الأطفال وتثقيفهم.

ولاشك أن الكتب حافلة بعدد هائل من القصص التي يمكن الاستفادة منها لتربية المجتمع وتوعيته وتوجيهه نحو الأخلاق السامية والمثل الإنسانية، وسأروي لكم واحدة منها ونحاول استخلاص الدروس والعبر.

كان المرحوم الميرزا النائيني مرجع الشيعة قبل حوالي ثمانين عاماً (توفي سنة ١٣٥٥ هجرية الموافق ١٩٣٦) وهو من العلماء المحققين وأستاذ لعدد كبير من المراجع والعلماء كالسيد الحكيم والسيد الخوئي والشيخ حسين الحلي وأمثالهم (قدس الله أرواحهم جميعاً) وكان يحضر بحثه أكثر من (٤٠٠) طالب بمختلف المستويات، لكن الذين يفهمون مطالبه العلمية المعمّقة لا يتجاوز عشرة بالمئة من العدد، وبين الحضور كثير لا يفقه شيئاً إلا أنه يحضر للتبرك ونحو ذلك، وإذا شارك في سؤال أو مناقشة فإنه ينكشف أمره أمام الحاضرين.

وكان من هؤلاء المتدنين في العلم شخص متوسط العمر إلا أنه فاجأ أستاذه والعلماء الحاضرين ذات يوم بمناقشات وتحقيقات أذهلتهم لأنها لا تتصور من

أمثاله وإنما من العلماء المحققين الذين أمضوا سنين في البحث والتحقيق فانبهر الأستاذ وأوقف بحثه وطلب من الحاضرين الهدوء والإنصات لهذا الشيخ ليعرف سرّ هذه القفزة الكبيرة في مستواه العلمي، وهنا تحدّث الشيخ.

قال: خرجت ليلة أمس لأشتري الخبز فمررت على خربة يصدر منها أنين ظننت أنهم جراء لكلبة ولدتهم، فلما دخلت وجدت هرة مطروحة على الأرض ميتة وأفراخها يلوذون بها ليمتصوا منها اللبن فلا يجدون ويتألمون من الجوع، فانكسر قلبي ودمعت عيني وذهلت عن الغرض الذي خرجت من أجله، وعلى الفور ذهبتُ إلى السوق فاشتريت لبناً وقنينة إرضاع الأطفال وأخذت أملأها باللبن وأرضع صغار الهرّة حتى شبعوا وهدأوا وناموا، ثم ذهبت في الصباح الباكر وكررت ذلك، وشعرت حينئذٍ أن شيئاً ما حصل في قلبي أحسست ببرده وسكينته وعندما جئت إلى البحث وجدت نفسي أفهم كل ما تلقونه وكأنني واظبت عليه منذ سنين، فتأثر الشيخ النائيني والحاضرون وأجهش بعضهم بالبكاء وقال (قده): إنّها معاملة مع الله، والله يقول: (وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ) (الأنفال/ ٦٠).

ونستطيع أن نستخلص عدة دروس تربوية وأخلاقية من هذه الحادثة:

١ ـ الاطمئنان بما نعتقد به جزماً من أن الله تعالى لا يهمل أي عمل فيه خير وإحسان بل يجازيه بما هو أحسن منه ويكافئ صاحبه قال تعالى (إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً) (الكهف/ ٣٠) وقال تعالى (إِنَّا لاَ نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ)

(الأعراف/ ١٧٠) وقال تعالى (أَنِّي لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى) (آل عمران/ ١٩٥) وهذا الجزاء والثواب يكون في الدنيا والآخرة، ونحن لا نعلم شكله وكيفيته، فصاحب هذه الحادثة أعطي علماً جماً لأن وظيفته طلب العلم، ويمكن أن يكافئ آخر بسعة في الرزق أو بزوجة صالحة أو بذرية طيبة أو بجاه اجتماعي ومكانة بين الناس وغير ذلك.

٢ ـ سعة رحمة الله تعالى، فإذا كان الإنسان وهو مخلوق ضئيل لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً يحمل هذا القلب الكبير والرحمة الواسعة وتهتز مشاعره لهذه الهررة مع أنها لا توجد رابطة ولا مناسبة بينهما فكم هي سعة رحمة الله تعالى بعباده الذين خلقهم بيده ونفخ فيهم من روحه واعتبرهم عياله كما في الحديث (الخلق عيال الله)، وإن نسبة رحمة الإنسان إلى رحمة ربه لا تساوي شيئاً، ففي الحديث الشريف عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال (: الله رحيم بعباده، ومن رحمته أنَّه خلق مائة رحمة جعل منها رحمة واحدة في الخلق كلهم، فبها يتراحم الناس، وترحم الوالدة ولدها، وتحنن الأمهات من الحيوانات على أولادها، فإذا كان يوم القيامة

أضاف هذه الرحمة الواحدة إلى تسع وتسعين رحمة فيرحم بها أمة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ثم يشفعهم فيمن يحبون له الشفاعة)[١].

فمجموع هذه الرحمات التي يتراحم بها الجن والإنس والحيوانات فيما بينهم هي كالجزء من مئة جزء من رحمة الله تعالى.

٣ - أن نكون مطمئنين إلى أن الرزق مكفول للعباد وأن أي نفس خلقها الله تعالى لا تخرج من هذه الدنيا حتى تستوفي رزقها، عن أمير المؤمنين (عليه السلام) (لكل ذي رمق قوت) وعنه (عليه السلام) قال: (عيالـه الخلائق، ضَمِنَ أرزاقهم، وقدّر أقواتهم)[٢] فيجب أن لا ننهمك في طلب الدنيا والمال وربما تطلّب ذلك غض النظر عن مصدر هذا المال وأنه من حرام أو حلال كالذي ابتلي به مجتمعنا من انتشار الفساد وخيانة المال العام وسلوك الطرق الملتوية للاستزادة منه فيجرّون على أنفسهم نار جهنّم ولو أنّهم صبروا وكبحوا جماح نزواتهم لأتاهم رزقهم لأن الله تكفّل بذلك.

---

[١] كنز العمال للمتقي الهندي: ١٦٧/٣، بحار الأنوار: ٢١٩/٦.

[٢] نهج البلاغة، الخطبة ٩١.

وفي هذه الحادثة شاهد على ذلك، لأن قططاً حديثة الولادة لا تقدر على شيء وفي خربة قد ماتت أمها التي تغذيها واحتمال بقائها حية ضعيف جداً ومع ذلك سخّر الله تعالى لها من يطعمها ويسقيها فكيف بالإنسان الذي زودّه الله تعالى بكل ما يعينه على طلب الرزق الحلال الذي يضمن له حياة كريمة لذا وردت الموعظة والنصيحة في الحديث عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (ألا وإن الروح الأمين نفث في روعي أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب، ولا يحمل أحدكم استبطاء شيء من الرزق أن يطلبه بغير حِلِّه، فإنه لا يُدرَك ما عند الله إلا بطاعته).[1]

٤ ـ أن لا تستصغر شيئاً من عمل الخير والإحسان فقد يكون عظيماً عند الله ويكافئك بأعظم الأجر، فمجتمعنا البعيد عن أخلاق الإسلام لا يرى ما فعله هذا الشيخ شيئاً له قيمة وربما يستهزئ به، لأن السائد هو العبث بهذه الحيوانات الضعيفة ورميها بالحجارة واللعب بإيذائها وهكذا، لكن ما فعله هذا الشيخ لقي قبولاً ورضا عند الله تعالى فكافأه بالأجر العظيم.

٥ ـ أن لا ييأس الإنسان من تكرار التجربة إذا حصل له الفشل فيمكن أن ينجح في المرة الثانية أو العاشرة أو أزيد من ذلك

---

[1] الكافي: ٧٤/٢ ح٢.

ولا يجعل الشعور بالإحباط ينفذ إلى قلبه وعقله، فهذا الشيخ لم يكن يفهم الدرس مدة لكنه بقي متواصلاً مع الحضور إلى أن جاءت الساعة التي فتح الله تعالى عليه بها وسجّل الإنجازات، فلنستفد من هذا الدرس في كل شؤون حياتنا في الدراسة أو في العمل أو عند إصلاح الآخرين أو في حل المشاكل وفك العقد وغيرها وكذلك في الدعاء فلا نشك ولا نحبط من عدم الإجابة ونظل نطرق الباب إلى أن يأذن الله تعالى بفتحها، روي عن الإمام الصادق (عليه السلام) قوله (أكثر من الدعاء فإنه مفتاح كل رحمة ونجاح كل حاجة ولا يُنال ما عند الله إلا بالدعاء، وليس باب يكثر قرعه إلا يوشك أن يفتح لصاحبه).[1]

٦ - إن قنوات تحصيل العلم عديدة لا تقتصر على الطرق الطبيعية المتعارفة من الدراسة ومطالعة الكتب فقد يلهم الله تعالى العلوم والمعارف للشخص بأن يقذفها دفعة واحدة في قلبه وعقله عندما يطهرهما وينقيهما الإنسان فتصبح مرآة نقية تعكس الحقائق الواقعية (ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ

[1] ميزان الحكمة، الباب ١١٦٩،الحديث ٥٥٨٥.

الْعَظِيمِ) (الجمعة/ ٤) كما أوحى الله تعالى إلى أمّ موسى (وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى) (القصص/ ٧) بل إلى الحيوان كالنحل (وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ) (النحل/ ٦٨) فالشيخ صاحب القصة المذكورة لم ينل علمه بدراسة وقراءة كتب وسماع من أستاذه بل أُلقي في قلبه حتى شعر ببرودته المعنوية وطمأنينته، قال تعالى (وَاتَّقُواْ اللّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللّهُ) (البقرة/ ٢٨٢) وقال تعالى (يِا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إَن تَتَّقُواْ اللّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً) (الأنفال/ ٢٩).

وهذا يزرع الأمل في قلوب طلاب العلم والمعرفة حتى لا يقولوا لسنا مؤهلين ولا نفهم شيئاً أو ما يقال في المثل الشعبي السيئ (عكَب ما شاب ودّوه للكتّاب) أي بعد أن بلغ سن المشيب بعثوه إلى الكتاتيب –على الطريقة القديمة ـ والمدارس ليتعلم، فهذا المثل وأمثاله يركّز ثقافة خاطئة تدخل اليأس من التعلم لدى من تقدّم بهم العمر فيستمرون على حرمانهم من قراءة القرآن والأدعية المباركة وضروريات حياتهم بينما هذه الحادثة تعلمنا أن كل شيء ممكن مع الإخلاص والصدق والأمل.

وهذا يدفع طلبتنا الأعزّاء الذين يتعسر عليهم فهم بعض الدروس إلى القيام بالمزيد من أعمال البر والإحسان كخدمة والديهم وإدخال السرور عليهم أو قضاء حوائج الناس أو مساعدتهم فيفتح الله عليهم بسبب ذلك.

٧ ـ ومن خلال هذه الحادثة وأمثالها نتعرف على سبق شريعة الإسلام إلى وضع قوانين حقوق الحيوان والرفق بها ورعايتها مما يتبجّح بوضعه الغرب مؤخراً وهذا دليل على عظمة الإسلام وسمو تعاليمه، بحيث أن الله تعالى يكرّم هذا الشيخ ويعطيه الجزاء الكبير في الدنيا والآخرة لأنه أشفق على حيوانات ضعيفة وأطعمها وسقاها.

والأحاديث في ذلك كثيرة كالمروي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال (من قتل عصفوراً عبثاً عجَّ إلى الله يوم القيامة ويقول: يا ربِّ عبدُك قتلني عبثاً ولم يقتلني لمنفعة).[١]

وعن الإمام الصادق (عليه السلام) قال (إن امرأة عُذِّبت في هرة ربطتها حتى ماتت عطشاً).[٢]

وروي عن الإمام موسى بن جعفر (عليهما السلام) عن آبائه (عليهم السلام) قال (مرّ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على قوم نصبوا دجاجة حية وهم يرمونها بالنبل، فقال: من هؤلاء لعنهم الله).[٣]

---

[١] كنز العمال/ ٣٩٩٧١، بحار الأنوار: ٣٠٦/٦١.

[٢] مكارم الأخلاق: ٢٨٠/١ ح ٨٦٤.

[٣] بحار الأنوار ٢٦٨/٦١ عن نوادر الراوندي: ٤٣.

وقصة العابد الذي خسفَ الله تعالى به الأرض فهو يهوي أبد الآبدين لأنه رأى أطفالاً يعبثون بديك وينتفون ريشه ولم ينههم عن ذلك.[١]

٨ - إن الأعمال التي يقوم بها الإنسان لا يثاب عليها ولا يؤجر إلاّ إذا نوى بها القربة إلى الله تعالى وبدون هذه النية لا يكون عملاً تعبدياً فلا يعطى الأجر كمن انشغل بشيء فلم يأكل ولم يشرب من الفجر حتى الغروب فإنه لا يعتبر له صوماً حتى ينويه صوماً قربة إلى الله تعالى.

ويستثنى من ذلك الأعمال الإنسانية التي فيها خير وإحسان للآخرين حتى الحيوانات فإن الله تعالى يكافئ عليها حتى لو لم ينوي صاحبها القربة إلى الله تعالى، كهذا الشيخ فإنه اندفع إلى إطعام القطط الصغيرة بداعي الشفقة وربما لم يلتفت إلى نية القربة لكن الله تعالى جازاه خيراً، لأنّ الله تعالى خالق كل الموجودات وكلهم عياله فالإحسان الذي يقدمه الإنسان إلى أي مخلوق يعتبره إحساناً إليه (هَلْ جَزَاء الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ) (الرحمن/ ٦٠)، في الحديث الشريف عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال (قال الله عز وجل: الخلق عيالي فأحبّهم إليّ ألطفهم وأسعاهم في حوائجهم)[٢] فكلما كان الإنسان

---

١ كتاب (أسمى الفرائض) الفصل الثاني ح ٥٠.

٢ الكافي: ١١٩/٢.

أشفق وأرحم بعباد الله تعالى كان أقرب إلى رحمة الله وفضله (إِنَّ رَحْمَتَ اللّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ) (الأعراف / ٥٦).

هذه عدة دروس ولعلكم تلتفتون إلى غيرها بالتأمل والتدبّر، وإنما اخترت هذا الحديث لأحفّز أخواني المدرسين والمعلمين ليكونوا أكثر رحمة وشفقة على طلبتهم، وأن يكونوا أكثر شعوراً بالمسؤولية عنهم (كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته) وأن لا يقصروا في أداء واجبهم فإن كل إحسان مدّخر لهم عند الله تعالى ويكافئهم عليه.

وأيضاً لأحفّز الطلبة لبذل مزيد من الجهد والإصرار والمثابرة على تحصيل العلم وأن يتوقعوا من الله تعالى كل مزيد من حيث لا يحتسبون ولا يتسرب الإحباط والملل إلى نفوسهم، وأن يكونوا بارّين بآبائهم ومعلميهم وإخوانهم وسباقين إلى فعل الخير، فربما جازاهم الله تعالى على فعل واحد من أفعال الخير بأن يفتح عقولهم لدروس كانت مقفلة عليها.

وأن لا يقصّر جميع المربين والخطباء والمعلمين وأولياء الأمور من إعطاء هذه الجرعات الأخلاقية لتهذيب النفوس وتطهير القلوب معززة بالقصص والحوادث لمواجهة حملات الإفساد والتخريب الأخلاقي والفكري والاجتماعي والله المستعان.

معلم الأخلاق:

وعلم الأخلاق كغيره من العلوم - إن لم يكن أولى - باحتياجه إلى المعلم العارف بأمراض النفس ومسالك انحرافها وعلاج كل منها ويعرف العلامات والاختبارات لتشخيص الداء، فيصف الدواء لكل أحد بما يناسبه من غير إفراط ولا تفريط، وكان العلماء السابقون لا يستنكفون من الحضور في دروس الأخلاقيين الناجحين في تربيتهم للآخرين رغم سمو مرتبتهم العلمية؛ فقد كان للشيخ الأنصاري مُعلمٌ خاص لتهذيب النفس، وكان المجتهدون يحضرون دروس الشيخ جعفر الشوشتري والشيخ حسين قلي الهمداني (قدس الله أسرارهم جميعاً) للوعظ والإرشاد وإحياء القلوب وتهذيب النفوس وتكميلها.

وإذا تعذر المربي الذي من أهم شروطه الصدق والإخلاص فيوجد البديل في الكتب المعبرة عن سمو مرتبة مؤلفيها، ويمكن للمؤمن أن يتربى على يديها، ومن هذه الكتب (جامع السعادات) و(القلب السليم) وغيرها كثير مما كتب في تهذيب النفس وتكاملها في طريق الوصول إلى الله سبحانه، وهي بمستويات مختلفة يمكن التدرج في الاستفادة منها وتطبيق ما فيها، وروح الكتب وخلاصتها أحاديث المعصومين وكلماتهم، حيث تعدّ الكلمة ذات السطر الواحد دستور حياة، فراجع (نهج البلاغة، وتحف العقول، والمحاسن والخصال، وإرشاد القلوب، ووسائل الشيعة/ ج١١)، وكذا أدعية

المعصومين كالصحيفة السجادية ودعاء أبي حمزة ودعاء الإمام الحسين (عليه السلام) يوم عرفة خصوصاً ملحقه ودعاء الصباح والمناجاة الشعبانية.

الحياة في كنف القرآن

لقد جرّبتُ الحياة في كنف القرآن وعشت في رعايته سنين في ريعان الشباب فكنت أختمه في السنة عشرين إلى خمس وعشرين مرة حتى خالط لحمي ودمي وفكري ولساني وقلبي وكنت مع تلاوتي له اقرأ بإمعان في تفسيرين مهمين أجلّهما وأعترف لهما بالفضل في تكوين شخصيتي العلمية والفكرية هما (الميزان) و (في ظلال القرآن) حتى أكملتهما ولخصت رؤوس أفكارهما حتى أرجع إليهما باستمرار فتنقدح في ذهني تلك الأفكار وفي روحي وقلبي تلك اللحظات السعيدة.

فماذا وجدت في رحاب القرآن؟ وماذا سيجد من يعيش في رعاية القرآن؟ سيرى عظمة الله سبحانه تتجلى في آياته وقوانينه وسننه وقدرته على كل شيء، فالأرض جمعياً قبضته والسموات مطويات بيمينه والعزة لله جميعاً والقوة والملك له وحده فهو الذي يرث الأرض ومن عليها وإليه مرجع العباد وهو أقرب إليهم من حبل الوريد ويحول بين المرء وقلبه ولا يملك شيء لشيء نفعا ولا ضراً إلا بإذنه، فعندئذ يتصاغر أمام حامل القرآن كل ما سوى الله تبارك وتعالى مهما عظم ظاهرا أو حاول أولياؤه وأتباعه تعظيمه والنفخ في صورته فإذا قدرة الله تلقف ما يأفكون فلا إرم ذات العماد ولا فرعون ذو الأوتاد ولا صاحب الكنوز التي تنوء مفاتيحه بالعصبة أولي القوة، أما حامل القرآن فقوته متصلة بالله فلا يخشى ما سواه ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ

أَوْلِيَاء كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (العنكبوت: ٤١)، و(من خاف الله أخاف الله منه كل شيء)[1].

وعندئذ سترى أن هذه القوى الكبرى التي ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى﴾ (طه: ٦٦)، وقادرة على تحقيق كل ما تريد، وإذا بها تنهار وتذوب كما يذوب الملح في الماء بلا حرب ولا أي عدو ظاهر لكن الله ينبئك عن الذي يقف وراء فنائهم ﴿فَأَتَى اللّهُ بُنْيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَشْعُرُونَ، ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآئِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالْسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ (النحل: ٢٦ ـ ٢٧).

وسيرى وعد الله وطمأنينته للمؤمنين بأن العاقبة لهم ولكن بعد أن: ﴿مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء وَزُلْزِلُواْ حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللّهِ قَرِيبٌ﴾ (البقرة: ٢١٤)، وأن لا بد من الفتنة والابتلاء ليمحص الله الذين آمنوا ﴿ألم، أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ، وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ (العنكبوت: ١ ـ ٣). وعندئذ يقر بال المؤمن مهما واجهته من صعوبة ومحنة لأنه من سنة الله في عباده فعليه أن يصدق في المواقف وسيجزي الله الصادقين ويهون الخطب عليه انه كله بعين الله سبحانك قال تعالى: ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ (الطور: ٤٨)، ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لاَ يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلاَ

---

[1] من لا يحضره الفقيه: ٤/٤١٠.

نَصَبٌ وَلاَ مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَطَؤُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلاَ يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلاً إِلاَّ كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (التوبة: ١٢٠).

وسيرى من علو الإيمان الذي يعمر قلبه والمعارف العليا التي يحملها إلى هذه البشرية التائهة التي تلهث وراء السراب تعيش لأغراض زائفة وتمني نفسها بأمانٍ باطلة يزينها لهم أولياء الشيطان من مال وجاه وشهوات يتنافسون عليها ويتقاتلون على شيء لا يبقى لهم بل يكون وبالاً عليهم. يصنعون لأنفسهم آلهة يصطلحون على عبادتها وطاعتها وتقديم الولاء لها فيقيمون لها الطقوس والاحتفالات والمهرجانات ويذبحون من أجلها القرابين ليس من الحيوانية فقط بل البشرية ويهدرون على أقدامها المليارات.

وسيرى أنه ليس وحده حتى يشعر بالضعف أو الذلة أو الخضوع والاستسلام ولا أن ما يعانيه ويشاهده ويعيشه بدعاً من الحوادث ولا أن تجربته فريدة ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعاً مِّنْ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلا مَا يُوحَى إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ (الأحقاف: ٩)، فإذن قد سبقه على هذا الخط أنبياء عظام وأولياء كرام وحملة رسالات ومصلحون وعباد صالحون عانوا أكثر مما عانى وصبروا على اشد ما صبر عليه وواجهوا من مجتمعاتهم أعظم مما يواجه والصورة نفس الصورة قال تعالى: ﴿فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ (الحديد: ٢٦)، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إذا اهْتَدَيْتُمْ﴾ (المائدة: ١٠٥).

وسيرى تكريم الله لخلقه حين خاطبهم بنفسه ووجه إليهم كلامه مباشرة، الله العظيم خالق السموات والأرض ذو الأسماء الحسنى يرسل إليهم بنفسه رسالة ويعهد إليهم بعهده، أي تكريم أعظم من هذا وأي تفضيل فوق هذا ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾ (الإسراء: ٧٠) فكيف يا ترى مشاعر الإنسان وهو يقرأ رسالة حبيبه بل الحبيب المطلق (إن القرآن عهد الله إلى خلقه فينبغي لكل مؤمن أن ينظر فيه)[1].

وسيرى أن كل شيء في هذا الكون بقدر وحساب دقيق، قال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ (القمر: ٤٩)، ﴿وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ (الحجر: ٢١)، ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ﴾ (الأنبياء: ٤٧)، وكل المخلوقات أفراداً ومجتمعات تجري وفق سنن ثابتة ﴿سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ (النساء: ٢٦)، ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ (الأنعام: ٣٨) لا يستطيع أحد أن يخرج من هذا القانون الإلهي العظيم ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً﴾ (فاطر: ٤٣)، فكيف يعبد الإنسان غيره تبارك وتعالى وهو لا يستطيع أن يخرج من قبضة سننه وقوانينه، فلا مجال للعب ولا العبث واللهو ﴿رَبَّنَآ مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ﴾ (آل عمران: ١٩١)، ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات:

---

(١) الكافي: ٦٠٩/٢، باب في قراءته (قراءة القرآن)، ح١.

٥٦)، ﴿لَوْ أَرَدْنَا أَن نَّتَّخِذَ لَهْواً لاتَّخَذْنَاهُ مِن لَّدُنَّا إِن كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ (الأنبياء: ١٧) ولا مجال للصدفة العمياء التي طالما تشدق بها الملحدون وضحكوا بها على عقول الناس ردحا من السنين وأضلوهم بها فتعساً للتابع والمتبوع، فمن وراء خلق الإنسان هدف فلا بد ان يحيا من اجله ويكرس كل طاقاته لتحقيقه وهو رضا الله تبارك وتعالى.

وسيجد في القرآن الوعد الإلهي بالإمداد والقوة الغيبية في كل موقف وشدة ومأزق ومعركة مع النفس الأمارة بالسوء أو الشيطان، وأن الله معه وكفى به ناصراً ما دام هو مع الله قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلا تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ، نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ، نُزُلا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ، وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (فصلت: ٣٠ ـ ٣٣) وآيات كثيرة تخبر عن إنزال السكينة في قلوب المؤمنين والإمداد بالملائكة المسومين وغيرها.

وسيجد في كنف القرآن الطمأنينة قال تعالى: ﴿أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (الرعد: ٢٨)، وهدوء البال وشفاء الصدور والهدى والبركة وكل خير مما وصف القرآن به نفسه.

فإذا وجد حامل القرآن كل ذلك اشتدت عزيمته وقوي قلبه وصلحت نفسه وازدادت همته وظهرت حكمته وسيكون عندئذ مصدراً للعطاء ومنبعاً للخير

لنفسه وللمجتمع كما هو شأن المصلحين العظام وعلى رأسهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأمير المؤمنين (عليه السلام) .

النماذج الرسالية:

ونحاول أن نستعرض الآن بعض النماذج الرسالية الفذة التي تربَّت في أحضان النبوة الكاملة، لنرى الأثر العظيم الذي أحدثه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في مجتمعه:

١ ـ حدث شجار بين أبي ذر (رضي الله عنه) وشخص أسود فقال له: يا ابن السوداء، فوبخه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وقال له ما مضمونه: أدركتك عصبية الجاهلية. فجاء أبو ذر إلى العبد وأعتذر إليه، فرضي عنه إلا أنه أبى إلا أن يرغم هذه الأنانية والعجرفة الفارغة والتكبر المقيت الكامن في النفس الأمارة بالسوء، فقال للعبد: لا أقتنع بالرضا حتى أضع خدي على الأرض وتطأه بنعلك، وفعل العبد، فشعر أبو ذر بزهو الانتصار على أعدى أعدائه، وهي نفسه التي بين جنبيه. يبعث إليه عثمان بمالٍ جزيل هو بأشدِّ الحاجة إليه بيد عبدٍ له ويعده بالحرية إن قبلها أبو ذر، ليبيع لعثمان دينه ويسكت عن مظالمه، فعلم أبو ذر بالنية، فرفض قبول الصلة، فأراد العبد أن يستغلَّ طيبة قلب أبي ذر وحبه للخير والتقرب إلى الله سبحانه، فقال لأبي ذر: إن فيها عتقي، فقال أبو ذر: لكن فيها رقي، لأن أبا ذر علم أنه بقبولها عليه أن يجامل عثمان ويداهنه، ولا يقول له ولحاشيته كلمة الحق، فيحشر في سرادق الظلمة،

وانتصر أبو ذر مرة أخرى، فليس غريباً أن يودِّعه أمير المؤمنين (عليه السلام) حينما نفاه عثمان إلى الربذة بكلمات حزينة مؤلمة لقلب كل غيور على الإسلام ورجالاته، لكنها كبيرة وعظيمة، ومما جاء فيها: إنكَ خِفْتَهُمْ عَلَى دِينِكَ وخافوك على دنياهم، فَاتْرُكْ لهم مَا خَافُوكَ عَلَيْهِ، وخذ ما خفت منهم عليه.

٢ ـ يحدِّث أحدهم أنه في معركة القادسية سمع جريحاً يئِنُّ ويطلب الماء، وقد أعياه نزف الدم، فلما قُرِّب وعاء الماء إليه سمع جريحاً آخر يطلب الماء فأبى أن يشرب، وقال: اسقِي أخي لئلا يموت، فقام إلى الثاني ليسقيه، فسمع ثالثاً يطلب الماء، فأمر بسقيه أولاً، فلما وصل إليه لم يدركه وفارقته الحياة، فعاد إلى الثاني فوجده كذلك، وعاد إلى الأول فوجده كذلك. فتراهم يؤثرون غيرهم على أنفسهم ولو كلفهم الحياة، إنه غاية السمو والرفعة.

٣ ـ كان لامرأة وزوجها ولد وحيد، مرض هذا الولد فأشفقا عليه، وهو وحيدهما، ولما حان وقت الصلاة خرج الأب إلى المسجد فمات الولد في غيبته، فلم تجزع الأم ولم يتغير حالها، بعد أن استوعبت القرآن، وعلمت منه ما أعدَّ الله للصابرين، وأن الله سيوفيهم أجورهم بغير حساب، وأنّ هذا الولد فَرْطٌ لهم على الحوض، لا يدخل الجنة حتى يدخل أبواه، مثلت كل

هذه المعاني أمامها، فغطّت الوليد وجعلته في إحدى غرف الدار، وتزّينت، فلما جاء الزوج استقبلته بعواطف حارة، وقدَّمت له الطعام، فسألها عن ولدها، فقالت: إنه بأهدأ حال، ولما أتمَّ طعامه مَكَّنته من نفسها، فلما قضى حاجته وعلمت أن الله لا يخذل المتقين وسيهبها ولداً بدلاً منه، أخبرت الزوج المفجوع بولده واحتسبه عند الله تعالى، ولما خرج إلى المسجد والتقى برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) هنأه على زوجته وبارك له فيها، وأخبره أن الله تعالى أوحى إليه بأنه قضى لهما من ذلك الجماع ولداً صالحاً هو هدية معجلة لهذا الموقف النبيل، وما عند الله خير وأبقى.

٤ ـ أعلن داعي الجهاد للخروج إلى ملاقاة قريش في أُحُد، فجاء عمرو بن الجموح وولداه وأخو زوجته هند وهو عبد الله بن عمرو بن حرام ـ والد جابر الأنصاري ـ فقال له رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): إن الله قد أسقط عنك الجهاد، وكان أعرج فقال: يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لا أرجع حتى أطأ بعرجتي الجنة، فدعا له رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وخرجوا معه (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى أحد، فاستشهد عمرو، واستشهد عبد الله، فجاءت هند بهما على بعير، وأحدهما عدل الآخر، فمرَّت

على ملأ فيهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) ملمحاً إليها: إن منكم مَنْ لو أقسم على الله لأبرَّه، ودفنتهما في قبر واحد.

٥ ـ كان مصعب بن عمير من بني عبد الدار من بطون قريش وهم حملة اللواء، وكان من الفتيان المنعمين المترفين، الذين يضرب المثل بجمالهم وترفهم ونعومة عيشهم، فلما صدع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بالإسلام اعتنق وتنازل عن ترفه ونعيمه، وأصابه ما أصاب المسلمين من العنت والضيق، فافترش الأرض ولبس الخلق من الثياب، فحاول ذووه ثنيه بأن وعدوه ما يشاء من الملذات، فلم تنفع وبعثه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قبله إلى المدينة ليعلمهم القرآن، وكان فتى مخلصاً وهب ما عنده لله سبحانه حتى أستشهد في أحد.

٦ ـ خرج المسلمون للقاء الفرس قبل القادسية في معركة الجسر، وكان على الجيش أبو عبيدة الثقفي والد المختار ومعه من عيون الصحابة ثابت بن قيس بن شماس خطيب الأنصار، ولما وصلوا إلى الجسر حيث يعسكر الفرس في الجهة الأخرى استشارهم فيما يفعل، فأشار ثابت بعدم العبور لتبقى الصحراء

من خلفهم رداءً إن كانت الوقعة للفرس، وإن انتصروا عبروا بسلام، أما إذا عبروا للفرس فسيكون العدو من أمامهم والنهر من خلفهم، لكن أبا عبيدة أمر بالعبور، وقال: إننا ما جئنا لنطلب النجاة، بل إحدى الحسنيين أما النصر، أو الشهادة، وأمر ثابتاً أن يكون أول من يعبر، فعبر ثابت وعبر أبو عبيد والمسلمون، ودارت الدائرة عليهم، واستشهد أبو عبيد، واستشهد ثابت، ليعطينا درساً في الطاعة المطلقة للقائد، وإن كان مخالفاً له في الرأي، فإن أي خلاف معه يؤدي إلى الاختلاف والتنازع، وهما منشآ الفتن والاضمحلال والزوال.

٧ ـ كان جويبر إنساناً معدماً ومن الطبقة المسحوقة في المجتمع كما يعبرون، فعرض على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) رغبته في الزواج، فبعثه إلى امرأة ثرية من أسرة وجيهة اجتماعياً وعزيزة في قومها، فجاء إلى وليها خاطباً، فاشمأز من هذا الخاطب وجرأته، وربما اعتبرها وقاحة منه، لكنه لما علم أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) هو الذي بعثه كظم غيظه على مضض ودخل على الفتاة يخبرها، ولعله بالغ لها في الأوصاف السيئة لعلها ترفض فيتخلص من هذه الورطة، لكنها لما علمت أنها رغبة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وافقت وأطاعت؛ لتعطينا درساً علمياً في تطبيق الحديث

الشريف (إذا رضيتم من الرجل عقله ودينه فزوجوه إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير) وكانت مصداقاً للآية الشريفة: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ (الأحزاب: ٣٦).

٨ ـ مرّ مالك الأشتر في السوق، فاستهزأ به رجل من أهل النفوس الضعيفة الذين يغترون بحلم المقابل ولم يكن يعرفه، فسكت عنه مالك وهو يومئذ صاحب أمير المؤمنين (عليه السلام) وقائد جيوشه، وقال فيه أمير المؤمنين (عليه السلام): كان لي مالك كما كنت لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فقال الناس لهذا الرجل: أما عرفت هذا، قال: لا، ومن عسى أن يكون؟! قيل: هذا مالك الأشتر. فارتعدت فرائصه وأيقن بالهلاك، ورأى أن لا نجاة إلا بالمضي إليه والاعتذار منه، فسأل: أين ذهب مالك؟ قيل: إلى المسجد. فجاء إليه ووجده يصلي، حتى إذا فرغ من صلاته توسل إليه معتذراً، فقال: لا عليك فأني ما دخلت المسجد إلا لكي أصلي لك ركعتين وأستغفر لك.

٩ ـ سعد بن الربيع، من سادة الخزرج، بايع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قبل الهجرة، وكان من النقباء الاثني

عشر، شارك في بدر وأبلى بلاءً حسناً، وكان من المدافعين عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حين فرّ أصحابه عنه في أحد، وبعد أن حلّ الظلام وافترق الجيشان افتقده رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وقال: من يستعلم لي حال ابن الربيع؛ أفي الأحياء هو أم في الأموات؟ فانتدب أحدهم وفحص عنه فوجده يصارع الموت مرتثاً بالجراح، فقال له: قد سأل عنك رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ويريد أن يستعلم حالك، فقال كلماته الأخيرة: أبلغ عنّي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) السلام، وقل له: جزاك الله خير ما جزى نبياً عن أمته، ثم قال: وأبلغ قومي من الأنصار أن لا عذر لكم عند الله تعالى إذا خلص عدوكم إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وفيكم عين تطرف.

هذه النماذج وأمثالها كثير هي التي أنشأها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وتعب على تربيتها في مدة (٢٣) سنة، وهذه هي النقلة العظيمة[1] التي قام بها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في ذلك المجتمع الذي عرفت حاله، ولعل من الحكمة الإلهية أن يبعث رسوله (صلى الله عليه

---

(1) هذا الأثر العظيم له (صلى الله عليه وآله وسلم) جعله على رأس أعظم مائة إنسان أثّروا في تأريخ البشرية كما اختاره مؤلف الكتاب الأمريكي.

وآله وسلم) في ذلك المجتمع المنحط إلى الحضيض، لتكون المعجزة أعظم، بينما لو بعث في أمة متحضرة لشكك في صحة رسالته وأنه ليس نبياً، وإنما هو من إفرازات تلك الحضارة والمدينة الراقية.

فما أحرانا نحن الحوزة الشريفة وقد نصبنا من أنفسنا مرشدين ومصلحين للمجتمع أن نستوعب هذه الدروس من حياة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، لنفعل كما فعل وننتج كما أنتج مع سهولة الأمر أمامنا بالقياس إليه (صلى الله عليه وآله وسلم)؛ لأننا نتعامل مع أناس تربوا في أحضان الإسلام قروناً طويلة ونهلوا من نميره، وأن الوازع الديني موجود في بواطنهم، وما علينا إلا أثارته وتوجيهه وتهذيبه، فلماذا نحتار؟ ولماذا نتعثر في المسيرة ونحن نملك هذا التراث الضخم والمعين الذي لا ينضب من التجارب؟.

فاطمة بنت أسد في الشعر:

وممن سجل هذه اللفتة – ذكر فاطمة بنت أسد وليس فقط وليدها أمير المؤمنين (عليه السلام) في ذكر منقبة ولادتها له (عليه السلام) ـ العلامة الجليل المرحوم السيد إسماعيل الشيرازي – ابن عم المرجع السيد الشيرازي الذي كان في سامراء صاحب فتوى التتن المشهورة ووالد المرحوم السيد عبد الهادي الشيرازي أحد مراجع التقليد في النجف توفي سنة ١٩٦٢م، في قصيدته الميلادية التي ألقاها في حفل مهيب بين يدي السيد المجدد العظيم الشيرازي وجمع غفير من العلماء والأدباء في مدينة سامراء، عندما كانت يوم ذاك عاصمة العلم وكعبة الوفاد عندما انتقل إليها المجدد، وقد نقل إن السيد الشيرازي نفسه شغف بالقصيدة وأفتتن بها لما ألقيت، فقام وقعد واضعاً يديه على رأسه وهو يقول: إي والله ... إي والله، وأنا أذكر هنا بعض المقاطع منها لأحيي ذكرى هذه المرأة الجليلة ومولودها العظيم:

رغد العيــش فزده رغــدا بسلاف منك تشفي سقــمي
آنست نفسي من الكعبة نور مثلما آنس موسى نار طــور
يوم غشّى الملأ الأعلى سرور
شرع السمــع نــداء كندا شاطئ الوادي طوى من حرم
ولدت شمس الضحى بدر التمام فانجلت عنا دياجير الظلام
نادِ: يا بشــراكمُ هذا غلام

وجـــهـــه فلقـــة بـــدرٍ يهتدى بسنـــا أنـــواره في الظـــلمِ
هـــذه فاطمـــة بنـــت أســـد أقبـــلت تحملُ لاهـــوت الأبد
فاسجدوا ذلاً له فيمن سجد
فله الأمـــلاكُ خرّت سجّدا إذ تجـــلّى نـــــــــورهُ في آدمِ
هل درت أم العلى ما وضعت أم درت ثدي الهدى ما أرضعت
أم درت كف النهى ما رفعت
أم درى رب الحجى ما ولدا جـــلَّ معنـــاه فلمّـــا يعلمِ[1]

(1) توجد القصيدة في مقدمة كتاب المكاسب التي كتبها السيد محمد كلانتر (رحمه الله) ج١/ ١٣٦ وما بعده.

حينما نسمو عن الإساءة ونذكر لطف الله تعالى بنا:

ينقل أهل المعرفة رواية واعية ومما جاء فيها: إن إخوة يوسف (عليه السلام) كانوا خجلين منه بعدما عرفوه لما صدر منهم اتجاهه، وكانوا يجلسون معه صباحاً ومساءً إلى المائدة، ولشدة حيائهم منه طلبوا منه إعفائهم عن الحضور معه، قال لهم: أنتم سبب عزتي ورفعتي؛ لأن المصريين كانوا يعتبروونني قبل مجيئكم غلاماً وصلت إلى السلطنة، وعندما جئتم عرفوا أني لست غلاماً، بل ابن نبي ومن أولاد إبراهيم الخليل (عليه السلام)[1]، هذا مع قبيح فعلهم معه، فكيف يكون موقفنا اتجاه المنعم المتفضل المنان؟

وقد عشنا في أيام صلاة الجمعة المباركة في مسجد الكوفة المعظم سنة ١٩٩٨ موجة شديدة من الحر وصلت إلى ٦٠ في الظل، وفي حر الظهيرة في شهر تموز كنا نجلس الساعتين والثلاث في الشمس المحرقة حتى كانت جباهنا تكتوي بحرارة موضع السجود مع ما يقتضيه الزي الديني من كثرة الملابس، وكنا جميعا مسرورين مشغولين بلطف الله علينا وكرمه الذي أتحفنا بهذه النعمة العظيمة، ورغم أنه كان يحجز لي مكان قرب إمام الصلاة وهو السيد (قده) إلا أنني كنت أتعمد الصلاة مع المؤمنين في باحة المسجد أحياناً، وفي الحقيقة فإن هذا معنى واسع تستطيع أن تطبقه في حياتك مع الآخرين

---

(١) القلب السليم: ٢/ ٣٦٧. هذا هو أدب الأنبياء فقد ذكر حسناتهم وغض النظر عن إساءتهم إليه.

أيضاً، فعندما يسيء لك شخص تذكر منه النقاط الإيجابية فسيتبدل غضبك عليه إلى حب له، لذا ورد في الحديث: (اذكر اثنين وانسَ اثنين: اذكر إساءتك للآخرين وإحسان الآخرين إليك، وانسَ إحسانك للآخرين وإساءة الآخرين إليك).

مثل في الموعظة:

أما تحب أن تكون ممن يباهي الله تعالى بك ملائكته، فقد جاء في الحديث: إن الله يباهي ملائكته بالشاب الذي نشأ في طاعة الله تبارك وتعالى. وقد يغريك بعضهم بأن الشباب مخصص للعب واللهو وبعد انقضائه نتوب! لا يا حبيبي، ما خلقنا للهو والعبث، بل للجد والعمل، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الإنسان إِنَّكَ كَادِحٌ إلى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلاقِيهِ﴾ (الانشقاق: ٦).

ثم هل يعرف الموت صغيراً وكبيراً حتى تضمن أنك باقٍ إلى حين التوبة؟ وضرب لذلك مثال في الموعظة: لو أنك كنت متعلقاً بحبل ومدلّى في بئر عميق، وفي قعر البئر أفعى عظيمة تنتظر سقوطك لتفترسك، ويوجد جرذان يقرضان في أعلى الحبل ويوشك أن ينقطع فتسقط في فم الأفعى، ماذا سيكون عملك؟ هل اللهو والعبث والغفلة أم يتركز تفكيرك على كيفية النجاة قبل انقراض الحبل؟ هذا المثال المرعب هو حقيقة حياتنا، فالحبل هو حبل العمر الذي يتصرم يوماً بعد يوم، والجرذان هما الليل والنهار اللذان يبليان العمر، والأفعى هو الموت الذي يلتهم كل البشر، فلا تغرّنّكم أيها الشباب هذه الدنيا التي تضحك لكم ويزينها لكم الشيطان، ولا تدفعكم النفس الأمارة بالسوء إلى اتباع الشهوات، قال تعالى: ﴿وَاللّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلاً عَظِيمًا﴾ (النساء: ٢٧).

في مقابل ذلك تقول الروايات: إن الله تعالى ليباهي الملائكة بالشابّ الذي ينشأ في طاعة الله تعالى، وأن الله ليفرح بالعبد التائب الذي يرجع إليه

أشد من فرح أحدكم إذا وجد الدابّة الضالّة في الصحراء الواسعة بمائه وشرابه ومتاعه، وإن رحمة الله وسعت كل شيء، ولتقريب سعتها اُنظر إلى رحمة الأم بولدها كيف تتحمل الجوع والأذى والسهر وربما الموت من أجل سعادة ولدها، وفي بعض القصص أن أصحاب الأخدود لما عرضوا على النار ليحرقوا بها، عمدت أحد الأمهات فقطعت ثدييها وأعطتها لولدها ليجعله تحت قدميه خشية أن تكوى بالنار، وفي طوفان نوح (عليه السلام) حملت إحدى الأمهات ولدها والماء يعلو شيئاً فشيئاً حتى أخذها وغرقت، فرفعت يديها إلى الأعلى وحملت ولدها، وهذه هي رحمة المخلوقين وهي جزء من مائة جزء من رحمة الله وزّعت على المخلوقات من إنسان وحيوان بها يتراحمون، فما مدى سعة رحمة الله تعالى؟

وما الذي يضرّ الشابّ لو عاد إلى الله تعالى والتزم بطاعته وترك معاصيه؟ إنه لا يخسر؛ لأن الله لم يحرّم عليه شيئاً من الطيبات أو اللذات وكل ما يريد منه تنظيم حياته وضبط شهواته في الإطار الصحيح لتكون حياته مستقرة وسعيدة ليس فيها اعتداء وتجاوز على حقوق الآخرين، وليس فيها ظلم لنفسه التي هي أعزّ شيء عنده فكيف يعمل على إيذائها بعمل المعاصي والاستجابة لشهواتها التي ترديه في المهالك؟

أهمية دراسة علم الأصول:

كان مما قاله سيدنا الأستاذ (قدس سره)[1] حينما نقل له اعتراض بعض الطلبة على دراسة الكفاية –وهو أعلى كتاب في الأصول يدرس قبل الدخول في البحث الخارج ـ وأن هذا الكتاب لا ينفع في العمل الاجتماعي ولا يدخل في عملية الإصلاح والهداية. فقال (قدس سره): نعم هو كذلك لكنك لا تستطيع أن تنفع المجتمع إلا بدراسة (الكفاية)؛ لأن تحصيل الاجتهاد متوقف عليه وبنيل الاجتهاد تنفع الناس وتبين لهم أحكام الشريعة.

ونقل عن العالم اليوناني أرخميدس أنه كان بين طلابه يوماً يشرح بعض نظرياته، فقام إليه أحد الطلبة وقال: ما فائدة هذه النظرية في حياتنا حتى نتعب أنفسنا في بيانها والاستدلال عليها، فقال لخادمه: أعطه درهماً. وكأنه يريد أن يقول له: إنك إذا قصدت بالنفع، المردود المادي المباشر فخذ هذا الدرهم لكنه ثمن بخس للعلم، وإنما غاية العلماء هو وضع لبنة في بناء الحضارة الإنسانية، فقد لا يعلم الفائدة المباشرة لهذه النظرية في الفيزياء أو ذلك القانون في الرياضيات أو تلك القاعدة في الكيمياء أو هذه الفكرة في علم الاجتماع إلا أنها جميعاً ساهمت على المدى البعيد في تقدم البشرية وتكاملها تطبيقا لقوله تعالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ (هود: ٦١)، أي طلب منكم إعمارها.

---

(1) الشهيد الصدر الثاني.

سوء استخدام التلفزيون:

إن الأعم الأغلب من سموم أهل المنكر في هذا العصر تبث لنا من خلال جهاز الشيطان (التلفزيون) الذي سلب من الناس غيرتهم وشرفهم وعزتهم، فوا أسفاه ثم وا أسفاه على المسلمين وبالأخص شيعة الإمام المهدي (عجل الله فرجه) كم هم ضعفاء بحيث لم يستطيعوا أن يستغنوا عن ما تبثه الفضائيات من الفسق والمنكر والمسلسلات الفاضحة. ونقل عمن اتصل بالحجة ـ إنه (عجل الله فرجه) يقول: (التلفزيون سيف مشهور في وجهي)، فهل ترضى الشيعة أن يكون في بيتها سيف مشهور بوجه الحجة (عجل الله فرجه)؟ فالراضي أقول له: إنك بفعلك هذا مسؤول عن تأخير الإمام (عجل الله فرجه) عن الظهور وكفانا نفاقاً، فكل يوم ندعو أن نكون من أنصاره وأعوانه ونحن بدرجة كبيرة من الضعف أمام أنفسنا وأهلينا مترددين لا نستطيع أن نتخذ قراراً حاسماً، أبهذا الضعف والخنوع نعين الإمام (عجل الله فرجه)؟

كبيت العنكبوت:

﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاء كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ العنكبوت٤١.

وأذكر شاهدين على كيفية انهيار هذه القوى المستكبرة التي تحاول أن تظهر عظمتها وجبروتها، وبأيسر السبل عندما يأذن الله تبارك وتعالى.

الأول: ما رأيناه من تفكك الاتحاد السوفيتي وذوبانه من دون تعرضه لأي هجوم خارجي بعد أن كان قوة عظمى كما يصفونها تقف في مقابل حلف شمال الأطلسي كله، لكن هذه القوة تلاشت بفعل ضعفها الحقيقي وكمون عوامل الفناء فيها بسبب ابتعادها بل محاربتها للشريعة الإلهية، واندثرت معها كل الأفكار التي كانت تبشر بها وتخدع الناس بالسعادة التي توفرها لها.

الثاني: مشكلة الصفرين التي أرعبت العالم المتقدم في التكنولوجيا حتى استعد لحرب النجوم لكن غفلة بسيطة كادت تودي بكل مشاريعه، وذلك حينما كان يؤرخ للسنين وينظم برامجه على ذكر أول مرتبتين فيشير للسنة ١٩٩٨ بـ ٩٨ ولم يصحُ إلا على خطر مرعب في نهاية عام ١٩٩٩ حيث إن انقلاب (٩٩) إلى الصفرين يعني العودة إلى سنة ١٩٠٠ وليس الانتقال إلى عام ٢٠٠٠، فارتبكت الحسابات المصرفية ومواعيد الرحلات وغيرها، والأخطر من ذلك نظام الأسلحة الاستراتيجية والعابرة للقارات وحَبَسَت الدول أنفاسها وحشدت قواتها ومعداتها خشية وقوع الكارثة في ساعة الصفر من ليلة ١/ ١ / ٢٠٠٠، وبذلت المليارات من أجل تجنبها، وشاء الله تبارك وتعالى أن يدفع عنها البلاء الذي كاد أن يدمرها بسبب غفلة بسيطة، فكانت

موعظة إلهية لعلها تتخلى عن جبروتها وطغيانها المصطنع ولكنها لم تستفد من هذا الدرس ولا غيره كما هو شأن المستكبرين.

وترى شعوب الغرب نفسها الآن تتذمر وتخرج في مظاهرات للاعتراض على سياسات حكّامها، هذا وهم متنعمون فيما توفره لهم حكوماتهم وغارقون في الماديات واللهو والمتعة التي تقسي القلب وتمنع من التوصل إلى حقائق الأمور، فكيف لو التفتوا إلى حقيقة حالهم في الحاضر والمستقبل خصوصاً بعد الموت وفي الآخرة إذا بعثوا للحساب ونشرت أعمالهم.

وهاهم مثقفوهم ومفكروهم ينادون بأن الحل الوحيد لهذا الضياع وعلاج الأمراض الفتاكة كالايدز هو العودة إلى القيم الروحية والالتزام بها وتربية الناس على الأخلاق الفاضلة.

هذه كلها إرهاصات ومقدمات الظهور الميمون المبارك لإقامة دولة العدل، وما علينا إلا التمسك بديننا القويم وتجسيد مبادئه الإلهية الكفيلة بتوفير السعادة للإنسان في الدارين حتى يقتنع الآخرون بان الحل الوحيد لعلاج البشرية هو الإسلام، وإذا أساء بعض من أنتسب إليه وحسب عليه فالذنب ذنبه وليس ذنب الشريعة الإلهية.

قضية فلسطين قضية اسلامية وليست قومية:

لقد ولى الزمان الذي كانت تعتبر فيه قضية فلسطين قضية قومية تخص العرب تحت مبررات واهية، وعزلوا بذلك قوة كبيرة وطاقة فعالة لو استثمرت فإنها ستحقق للأمة مرادها هي قوة العقيدة، وما الانتصارات التي حققتها الجيوش العربية المسلمة في حرب ٦ تشرين ١٩٧٣ إلا بفضل الروح الدينية التي كان يحملها أولئك الجنود بالتأثير الساحر لشهر رمضان لان الحرب بدأت في العاشر من شهر رمضان المبارك ولا زلت أتذكر رغم مرور ثلاثين سنة بالضبط كيف دخل المرحوم الشهيد الشيخ عبد الجبار البصري إلى قاعة الدرس وكنت حينها طالباً في متوسطة الإمام الجواد (عليه السلام) الأهلية، وكان في غاية الحماس والانفعال بعد إعلان بدء الحرب وطالبنا بكتابة موضوع في درس الإنشاء عن (إخوانٍ لنا يقاتلون في سبيل الله لا تأخذهم في الله لومة لائم ولا يستوحشون الطريق لقلة سالكيه) ولا زالت كلماته هذه ترن في أذني.

لكنهم مع الأسف لم يسموها بحرب العاشر من رمضان وإنما أسموها حرب السادس من تشرين فأفقدوها سلاحها الروحي المضاء، والغريب من القيادات الفلسطينية والعربية أن تغفل عن هذا الإطار للقضية وهم يرون عدوهم يقاتلهم بعقيدته اليهودية، ويزرع في قلوب جنوده الهمة والحماس للدفاع عنها، فلماذا لا نواجههم بنفس السلاح الذي شهروه في وجوهنا ولا يعني هذا أننا ضد العقيدة اليهودية التي هي بالأصل ديانة سماوية جاء بها رسول كريم عظيم من أولي العزم هو كليم الله موسى بن عمران (عليه

السلام)، ولكننا ضد التوظيف السيئ والمنحرف لها من أجل تحقيق أهداف شيطانية للصهيونية.

الأدب في محضر اللّه تعالى:

لقد كان للسيد الشهيد الصدر الثاني (قدس سره) ارتباط عميق بالله تعالى وإدامه ذكره وجعله الهدف الوحيد الذي يسعى من أجله، وقد انتقد في أحدى خطب الجمعة ما يفعله أئمتها من الاكتفاء بسطر واحد أو أقل من الحمد والثناء على الله تبارك وتعالى ثم الخوض في موضوع الخطبة، أما هو (قدس سره) فكان ينقل مقطعاً من دعاء أو آيات قرآنية أو خطبة لأحد الأئمة (عليهم السلام) تعمق الصلة بالله تعالى وتعرف بصفاته الحسنى، وتبين حاجتنا وفقرنا إليه تبارك وتعالى، وكان مراقباً لله سبحانه، ومراعياً له في السر والعلن.

ومما أدبني به ما رواه عن أحد العلماء: أنه دخل عليه شخص فرآه بزيه الكامل وهو جالس وحده في البيت فسأله عن ذلك، قال: لأني بحضرة الله تبارك وتعالى، وكان آخر لا يمدد رجليه حتى لو كان وحده لنفس السبب، ومما حكاه (قدس سره) لي عن سيرته: أنه مرة صلى ركعتين استغفاراً لأنه قال لشخص التقى به وكان غائباً عنه مدة: مشتاقين، وهي كلمة متعارفة، ويمكن أن تبرر إلا أنه خشي أن يكون كاذباً بهذه الدعوى.

وهذا – أعني العمل لله تبارك وتعالى – إحدى مميزات حركته عن قادة وعلماء آخرين عاشوا للإسلام، وأشربت قلوبهم حب الإسلام وهو عمل عظيم إلا أنه ليس كمن يعيش لله تبارك وتعالى، وبينهما فرق أوضحته في محاضرة سابقة، وهذا التعلق بالله تبارك وتعالى والإخلاص له ومحبته تجعل

الشخص يفيض نوراً على الآخرين، ويلقي الله محبته وهيبته وتأثيره في قلوب الناس، (من أراد عزاً بلا عشيرة وهيبة بلا سلطان فليخرج من ذل معصية الله إلى عز طاعته)، وفي الحديث القدسي: (إن العبد ليتقرب لي بالنوافل حتى يكون سمعي وبصري) فيكون دليلاً للخلق إلى الله تعالى.

القراءات القرآنية:

كان السيد الشهيد الصدر (قدس سره) يعيش مع القرآن ويتفاعل مع مضامينه، ففي وقت مبكر من حياته كان له دفتر يسجل فيه ما ينقدح في ذهنه من نفخات أثناء تلاوته للقرآن، ويثبت فيه الآيات التي توحي له بخلق قرآني أو موقف إزاء حال معينة أو سلوك عليه أن يطبقه، وفي مرحلة أخرى أخبرني أن له نسخة من المصحف ثبت على هوامش صفحاته القراءات المتعددة للكلمات القرآنية، وقال (قدس سره): إنه كان يستفيد من هذه القراءات معاني لا توحيها الكلمات المرسومة، وأحياناً تحل له معضلة فقهية لا ينسجم حلها مع القراءة الموجودة لكنها تنسجم تماماً مع قراءات أخرى، وختم حياته (قدس سره) وهو يلقي محاضرات (منة المنان في الدفاع عن القرآن)، ويمكن مراجعة كتاب (شكوى القرآن) لتطلع على بركات الحياة في ظل القرآن ودوره في صنع القادة والمصلحين.

يقلد المرجع من خلال سعر الطماطة!

نزوله إلى المجتمع ومخاطبته لجميع الناس بما يناسبهم وعدم الابتعاد عنهم فقد كان، إلى حين تصديه للمرجعية يذهب بنفسه إلى السوق ليوفر الحاجات المنزلية، وكان يحب أن يطلع على آلام المجتمع وآماله وهمومه من دون أن يتخذ حاجباً أو (سكرتيراً). نقل أحدهم: أنه قلد السيد الصدر (قدس سره) بسبب الطماطة، قيل له: وكيف؟

قال: لأني سألت عدداً من المراجع وأنا أبحث عمن أقلده كم هو سعر الطماطة في السوق، فكان جوابهم جميعاً هو الزجر وان هذا ليس من اختصاصنا، إلا السيد الصدر فقد أجاب بالتفاصيل عن سعر الجيدة منها والرديئة فعلمت – والكلام له – إن هذا هو الرجل الذي يصلح لقيادة الأمة، وسواء صح هذا أو لم يصح لكن المهم أنه يعبر عن آلية للإيمان بالقيادة وصلاحيتها كما نقل عن ابن سينا وهو الفيلسوف العظيم: اللهم إيماناً كإيمان العجائز، أي أن هذه الوسائل الساذجة للإيمان بالحقائق قد تكون اثبت في القلب والنفس من طرق الاستدلال العقلية المتضخمة بالإشكالات والشبهات.

وقد رأينا في صلاة الجمعة كيف يتحدث بلغة المجتمع فيفهمه المجتمع ويشاركهم الحر والبرد ويعيش في أوساطهم بلا تمييز عنهم، ويشمل بخطاباته كل شرائح المجتمع فخاطب الحوزة والعشائر والمسؤولين السياسيين والديانات الأخرى حتى الغجر بحيث أحس الجميع انه منهم فيتأثرون به ولا يشعرون بالغربة والانفصال.

بالدين سعادة الشعوب:

إن الدين بما يمتلك من التأثير القوي في القلوب فإنه يمكن أن يوظف لتحقيق الكثير من الانجازات لمصلحة الشعوب مما لا يمكن تحقيقه بالوسائل الأخرى، وكمثال على ذلك فإن مليارات الدولارات أنفقت لتغطية إعلانات محاربة التدخين وتأسيس المراكز والجمعيات التي تعالج هذه الظاهرة فلم تفلح في عملها، لكن اقل من نصف سطر قالته المرجعية الدينية حسم الأمر حينما أبرمت الحكومة البريطانية في نهاية القرن التاسع عشر عقداً مع شاه إيران القاجاري اشترت بموجبه امتياز شراء وتصدير وتصنيع التبوغ في إيران لمدة خمسين عاماً، فأحس المخلصون بخطورة هذه الاتفاقية على اقتصاد وسياسة إيران وانه باب يجر التبعية والفساد على شعب إيران، وأقنعوا المرجع الأعلى السيد محمد حسن الشيرازي وكان مقره مدينة سامراء في العراق بضرورة التصدي للأمر، فكتب في ورقة صغيرة (شارب الدخان محارب لإمام الزمان) فامتنع الشعب الإيراني كله عن التدخين، حتى أن زوجة الشاه نفسه كسرت الغليون الخاص به طاعة للمرجعية الدينية وفشلت الخطة البريطانية.

وقد جربنا نحن الشعب العراقي قوة تأثير الدين في حياة الأمة عامي ١٩٩٨ ـ ١٩٩٩ حينما أقام السيد الشهيد محمد محمد صادق الصدر (قدس سره) صلاة الجمعة المباركة في العراق واشترك فيها مئات الآلاف كيف قلّصت الجريمة والفساد والانحراف بنسبة ٩٠٪ حسب اعتراف المسؤولين رغم الفقر والحرمان والتسلط والفساد الإداري الذي كان متفشياً.

العصيان يؤدي الى اختلال نظام الكون:

إن السنن والقوانين المتحكمة في الإنسان والكون مترابطة لان المتصرف فيها واحد، فأي خلل أو انحراف وعصيان لله تبارك وتعالى يفعله الإنسان يؤدي إلى اضطراب في الطبيعة بكل أجزائها.

وقد لا تستطيع فهم هذا الترابط الجدلي إلا أنني أذكر لكم شاهداً على ذلك فقد شهد وسط أوربا خصوصاً بافاريا في ألمانيا في صيف إحدى السنين القريبة فيضانات ضخمة لم تشهدها منذ (١٥٠) عاماً تسببت في قتل العشرات وجرح غيرهم وتدمير الكثير وقد قيل في سببها أن عدم توقيع الولايات المتحدة لمعاهدة كيوتو للمحافظة على البيئة التي تقتضي عدم تشغيل المعامل في آن واحد مما أدى إلى احتباس حراري وارتفاع درجة الحرارة الذي سبب ذوبان أكبر للجليد فحصل الفيضان.

فإذن عصيان هذا المبدأ الإنساني المنسجم مع التعاليم والقيم السماوية أدى إلى كوارث طبيعية والعكس بالعكس فإن الالتزام بالتعاليم السماوية والمبادئ الإنسانية العليا يؤدي إلى أن تعيش البشرية كلها في محبة وسلام وسعادة وخير وفير، قال الله تبارك وتعالى في القرآن الكريم ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (الأعراف: ٩٦).

هكذا كان السيد الصدر الأول:

لقد كان السيد الشهيد الصدر الأول (قدس سره) البوتقة التي تنصهر فيها كل رؤى ومطالب أطياف الشعب العراقي الدينية والعرقية ليصوغها في نسيج موحد يحفظ لهم جميعاً حقوقهم ولا يحيف على أحد لمصلحة أحد، وكان أباً للجميع وصمام أمان لوحدة هذا الشعب لثقة العراقيين جميعاً بنزاهته وفكره النيّر وتجرده عن الأنا، وقلبه الكبير الذي وسع حتى أعداءه جلاوزة الأمن الذين كانوا يحاصرون بيته ومنعوا عنه أبسط حقوق الحياة، ومع ذلك فلما أطلّ من شرفته عليهم في يوم حار ورآهم يتصببون عرقاً أمر خادمه الشخصي بسقيهم الماء ، هذه الذات السامية سيجتمع عليها جميع العراقيين ويلتمسون عنده المخرج.

العلم والأخلاق:

إن المستوى العلمي والأخلاقي والفكري للجامعات هو المقياس الذي تُعرف من خلاله مكانة الأمة في سلّم الحضارة والتمدن فبمقدار ما تعمل هذه المؤسسات على تنمية هذه العناصر الثلاثة (العلم ـ الأخلاق ـ الفكر) تحسب درجة نجاحها في تربية الشباب.

ربما سمعتم قبل بضعة أشهر حينما صدر قرار من الحكومة المصرية بترقين قيد الأستاذ الجامعي الذي بلغ السبعين من العمر عن ملاك الجامعات، كيف سارع الأساتذة الجامعيون الجدد إلى تطبيقه بالهجوم على غرف الأساتذة الكبار المشمولين بالقرار ورموا بكتبهم وأثاثهم إلى خارج الغرف ليحتلوا مكانهم. إنها لخسارة عظيمة وانحدار مريع في أخلاق الأمة ووعيها أن يكون الأساتذة الجامعيون بهذا التسافل الفظيع. واني اربأ بأساتذة وطلبة جامعاتنا أن يفكروا بمثل هذه الأعمال المشينة فضلاً عن القيام بها.

كل هذا يكشف عن أن العلم وحده لا يكفي بل لا بد من تغذية الطلبة بالأخلاق الفاضلة والأساليب المتحضرة في التعامل مع الأمور والاطلاع على السير الحميدة لعظماء البشر وعلى رأسهم الأنبياء الكرام والأولياء الهادين المهديين ؛ لذا قال جدّنا الشيخ محمد علي اليعقوبي (رحمه الله) مذكراً الأساتذة بهذه المسؤولية :

قـل للأسـاتذة الـذين تكلّفـوا عبئاً مـن التـدريس لـيس يطـاقُ
كـل الـدروس مهمـة وأهمهـا الــدين والتــاريخ والأخــلاقُ

يحتاج الى ركعتي استغفار:

أن كثيراً من الأبحاث –خصوصاً في علم الأصول ـ لا علاقة لها باستنباط الحكم الشرعي كبحث بساطة المشتق وتركيبه وبحث اتحاد الطلب والإرادة ونظرية الأمر بين الأمرين الذي هو بحث كلامي صرف ويستغرق البحث فيها عدة أشهر تضيع من عمر الأستاذ والطالب وتشغله عن الاهتمام بما هو أهم.

كنت أقول لطلابي: إن الخوض فيها يحتاج إلى ركعتي استغفار ومعه – أي السيد الهاشمي ـ حق حينما قال إن بعض هذه الأبحاث يوجب انحراف الفهم واعوجاج السليقة وهو ما لمسه كل من مارس الاستنباط الفقهي أو اطلع عليه وهو من أهله.

أسأل الله تعالى أن نكون على درجة من الشجاعة والوعي والحكمة والورع بالمقدار الذي يؤهلنا لإصلاح المناهج العلمية واحترام وقت الطالب وتوجيهه بالاتجاه الذي ينفع الأمة ويعّينها على تحمل مسؤولياتها العظيمة.

عزم الملوك:

يروى أن هارون العباسي كان مبتلى بعادة سيئة مدمناً عليها فطلب من مستشاريه إقناعه والتأثير عليه لتركها فحاول هؤلاء بحسب اختصاصاتهم. فالأطباء من الناحية الصحية والتجّار من الناحية الاقتصادية والفقهاء من الناحية الشرعية، فلم يفلحوا ثم التجأ إلى الإمام الكاظم (عليه السلام) الذي عرف بنور الله تعالى أن مشكلة هارون تكمن في ضعف إرادته لتنفيذ القناعة وليس في أصل الاقتناع فاستثار فيه هذه الهمّة وقال (عليه السلام): (أين عزم الملوك)، فتحركت عزيمته واستجمع قوته وترك ما كان مبتلى به.

قمة الانحطاط والتعاسة.

روي عن رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله) انه (كان قاعدا مع أصحابه في المسجد فسمعوا هدّة عظيمة فارتاعوا فقال (صلّى اللّه عليه وآله): أتعرفون ما هذه الهدّة؟ قالوا: اللّه ورسوله أعلم. قال: حجر ألقى من أعلى جهنّم منذ سبعين سنة الان وصل إلى قعرها، فكان وصوله إلى قعرها وسقوطه فيها هذه الهدّة، فما فرغ من كلامه (عليه السّلام) إلّا والصّراخ في دار منافق من المنافقين قد مات وكان عمره سبعين سنة فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله : اللّه أكبر فعلم علماء الصحابة أنّ هذا الحجر هو ذلك المنافق، وأنّه منذ

خلقه اللَّه يهوى في جهنّم وبلغ عمره سبعين سنة فلما مات وصل في قعرها)[1].

فهذا قضى عمره البالغ سبعين سنة وهو يتسافل في المعاصي والموبقات ويحيط نفسه بنار آثامه ويهوي بها حتى وصل عند الموت إلى قمة الانحطاط والتعاسة.

قصة عبد الله بن المبارك:

يروي لنا التأريخ عن عبد الله بن المبارك أنه كان يحج سنة ويعمر سنة، وداوم عليه على ذلك خمسين سنة، فخرج في بعض سني الحج وأخذ معه خمسمائة دينار إلى موقف الجمال بالكوفة ليشتري جمالاً للحج، فرأى امرأة علوية على بعض المزابل تنتف ريش بطة ميتة، قال: فتقدمت إليها فقلت: ولم تفعلين هذا؟ فقالت: يا عبد الله لا تسأل عما لا يعنيك، قال: فوقع في خاطري من كلامها شيء، فألححت عليها فقالت: يا عبد الله قد ألجأتني إلى كشف سري إليك. أنا امرأة علوية ولي أربع بنات يتامى، مات أبوهن من قريب وهذا اليوم الرابع ما أكلنا شيئاً، وقد حلت لنا الميتة، فأخذت هذه البطة أصلحها وأحملها إلى بناتي يأكلنها، قال: فقلت في نفسي: ويحك يا ابن المبارك أين أنت عن هذه؟ فقلت: افتحي حجرك، ففتحت فصببت الدنانير في طرف إزارها وهي مطرقة لا تلتفت، قال: ومضيت إلى المنزل ونزع

---

(١) أنظر: منهاج البراعة: ج١٩ ص٨٩

الله من قلبي شهوة الحج في ذلك العام ثم تجهزت إلى بلادي فأقمت حتى حج الناس وعادوا، فخرجت أتلقى جيراني وأصحابي، فجعل كل من أقول له: قبل الله حجك وشكر سعيك، يقول لي: وأنت قبل الله حجك وشكر سعيك، إنا قد اجتمعنا بك في مكان كذا وكذا، وأكثر الناس علي في القول، فبت متفكرا فرأيت رسول الله (صلى الله عليه وآله) في المنام وهو يقول لي: يا عبد الله لا تعجب فإنك أغثت ملهوفة من ولدي، فسألت الله أن يخلق على صورتك ملكاً يحج عنك كل عام إلى يوم القيامة، فإن شئت أن تحج وإن شئت لا تحج)[1].

إن الله تبارك وتعالى بعث ملكاً على صورة ابن المبارك ليؤدي المناسك ويهب ثوابها إلى ذلك الرجل الذي تنازل عن رغبته النفسية بالحج رغم استحبابها العظيم، وساعد أسرة علوية محتاجة بالمبلغ المخصص لتلك العبادة. فحصل على ثواب الحج إضافة إلى ثواب إنقاذ تلك الأسرة المؤمنة.

(١) البحار: ج٤٢ ص١١، عن تذكرة الخواص.

منافذ الفتنة كثيرة:

وعلينا أن نتذكر أيضا أن منافذ الفتنة كثيرة وأبوابها إلى النفس الأمارة بالسوء والميالة إلى اللعب واللهو كثيرة، وقد ينجح الإنسان في اختبار باتجاهٍ ما لكنه يفشل في الاتجاه الآخر بشكل فضيع، وهذا مضمون ما ورد في الحديث عن الإمام السجاد انه إذا رأيت الرجل لا ينخدع بالدينار والدرهم فرويدك رويدك ولا تحكم عليه بالصلاح فلعله يفشل في الامتحان أمام النساء فإذا نجح فلا تغتر به فلعله يسقط في فتنة حب الجاه وهكذا.

أتذكر إننا في أيام الانتفاضة الشعبانية المباركة عام ١٩٩١ كان الصحن الحيدري الشريف مليئا بالناس المتحمسين الذين يلوحون بالسلاح فرحين بالنصر ومتهيّئين لأية مواجهة، والحناجر تصدح بالشعارات، ولكن حينما يرتفع صوت المؤذن بالصلاة لم يكن يحضر صلاة الجماعة خلف سيدنا الشهيد الصدر (قدس سره) في داخل الروضة المطهرة إلا عدد الأصابع فهل يمكن أن نعتبر هذا نجاحاً حقيقيا؟! وأنا لا أريد أن أوبخ أولئك الثائرين بقدر ما أريد إلفات النظر إلى عناصر التربية المتكاملة بينما يقيم الإمام الحسين (عليه السلام) صلاة الظهر جماعة يوم عاشوراء وسط صليل السيوف واصطكاك الأسنة وأشلاء الشهداء، وفي معركة صفين وفي ليلة الهرير بالذات التي شهدت اعنف المعارك يفتقد جيش الحق إمامهم أمير المؤمنين (عليه السلام) وبعد البحث وجدوه يصلّي والحرب مشتعلة فقال له مالك الأشتر: أفي مثل هذا الحال تنشغل بالصلاة يا أمير المؤمنين؟ قال (عليه السلام) وهل قاتلناهم إلا من

أجل الصلاة؟

الشباب الجامعي والدعوة إلى الله تبارك وتعالى:

قبل ثلاثين عاماً تقريباً كان وفد من الشباب الجامعي في زيارة للسيد الشهيد الصدر الأول (قدس سره) فكان مما قال إنكم أفضل منا ، وقد تأثروا بكلامه واهتزت عواطفهم حماساً لكنهم لم يفهموا كيف يكونون هم أفضل من أفراد الحوزة العلمية الذين يكرّسون كل وقتهم لطلب العلم والتدريس والتأليف وحضور الاجتماعات الدينية والشعائر، وقد شرح (قدس سره) لهم المعنى بأننا نعيش في النجف والأماكن التي نتردد إليها: المسجد والروضة الحيدرية الشريفة والمدرسة الدينية وبيوت العلماء ، ففرص الانحراف والدعوة إلى المعصية قليلة أو نادرة فإذا كنا لا نشتغل بهذه الوظائف الحوزوية فماذا نصنع وبماذا نقضي وقتنا.

أما انتم يا طلبة الجامعات فمحاطون بأجواء الفساد والانحراف والضغط الشديد للتأثر بالمعاصي، فالتزامكم بدينكم وسط هذه المعاناة وانتم في عنفوان الشباب وذروة اندفاعة النفس نحو إشباع الشهوات والمطامع يكون ذا فضل عظيم.

وأنا أتفق معه (قدس سره) في الجملة أي من بعض الجهات وهو ما قاله من الفخر بنجاح الشباب في امتحان الشهوات والمطامع، وإلا فإننا على علم بوجود أمراض قلبية ونفسية غير مرتبطة بالظروف يتعرض لها العلماء و

طلبة العلوم الدينية وهي أكثر تأثيراً في البعد عن الله تعالى من تلك التي يتعرض لها الشباب من المعاصي الظاهرية.

وعلى أي حال فلأجل هذه المعاناة ورد أن الله تبارك وتعالى يباهي الملائكة بالشاب الذي ينشأ في طاعة الله تبارك وتعالى . وينجح في هذا الجهاد الأكبر – لأن الملائكة جبلت على الطاعة وعبادة الله ولا تتجاذبها نوازع الشر والفساد كما في الإنسان حيث تحمل نفسه ميداناً لصراع مرير بين جنود الرحمن وجنود الشيطان.

فعمر الشباب فيه هذه الفرصة من الارتقاء والتكامل إذا لم يستثمرها الشاب وتجاوز الأربعين مثلي فإنه لا يحظى بنفس العناية والمباركة ؟ولماذا لا يستثمرها الشاب ؟ وماذا يخسر لو أصبح ملتزماً بدينه طاهراً في سلوكه عفيفا في جوارحه ؟ انه لا يخسر شيئا فكل احتياجاته ونوازعه كالجنس والمال والجاه مكفولة له بطرق محلله ، ولم يخلق الله هذه الشهوات لتكون وبالاً بل خلقها رحمة وامتناناً ولمصالح تعود إلى الشخص نفسه.

أتذكر أن السيد الشهيد الصدر الثاني (قدس سره) قال في إحدى خطب الجمعة في الكوفة ما أصعب أن يبقى الإنسان على طريق الاستقامة في خضمّ التحديات والصعوبات التي تواجهه والحاجات التي عليه تلبيتها ، ولكن ما أيسره بنفس الوقت لأنه لا يحتاج إلى أكثر من الإرادة ، فإذا عزم وقويت إرادته هانت عليه كل المصاعب.

هذا بشكل عام و أما أمثالكم من الشباب الرسالي الذين لا يكتفون بإصلاح أنفسهم، وإنما يسعون لإصلاح مجتمعهم خصوصاً الوسط الجامعي المشحون بالإغراء و الفساد والانحراف فهذا يتطلب هممًا عالية، وقد اطلعت على عدد من مشاريعكم الإصلاحية كإقامة حفلات التخرج الإسلامية في مقابل المهرجانات الصاخبة والماجنة التي تعود على إقامتها طلبة الصفوف المنتهية في الجامعات قبل تخرجهم وقد تضمنت احتفالاتكم برامج عفيفة وسامية.

إنكم حينما تشكون من ضعف العمل الإسلامي في الجامعات، فإنه لا يدل على تقصير في جهودكم بقدر ما يعكس طبيعة الرسالي الذي لا يتوقف عمله حتى يرى كل الناس قد اهتدوا إلى طريق الحق أسوة برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الذي كان يتمنى صلاح كل البشرية وهو أمر مستحيل عادة لأن بعض القلوب قاسية فهي كالحجارة أو اشد قسوة وبعض الآذان صماء وبعض العيون عمياء لذا خفف الله تعالى من آلامه وطيب من خاطره في عدة آيات ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ – أي قاتل – نَفسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤمِنُوا بِهَذَا الحَدِيثِ أَسَفاً﴾ (الكهف: ٦) ﴿لعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ أَلا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ (الشعراء: ٣).

ولكن أوصيكم باتباع الحكمة في دعوتكم إلى الله تبارك وتعالى والوسائل المناسبة التي تفتح قلب الآخر وعقله، وتجنبوا طرق الاستفزاز و التي تدفع الآخر إلى العناد والاستكبار.

ومن الأساليب المناسبة أن تستثير في الآخر كوامن الخير وتشيد بالخصال الكريمة فيه وان قلّت لأنه حتى الإنسان الفاسق قد تجد عنده خصلة طيبة أو أكثر كالرحمة بالآخرين أو النخوة و الشهامة في مساعدتهم، أو الاشمئزاز من إيذاء الناس، أو حب عمل الخير أو الشجاعة في الدفاع عن الحرمات وهكذا . فعلينا أن نثني على هذه الجوانب الايجابية فيهم ولا نركز على الزجر والتوبيخ والازدراء والوعيد فننفرهم. فإن قلة نادرة من البشر الذين هم شرّ محض ولا يحملون ولو صفة واحدة من الخير.

دخل واعظ على المأمون وتحدث بلهجة قاسية فقال له المأمون : لستُ شرا من فرعون الذي قال أنا ربكم الأعلى ولا أنت أفضل من موسى كليم الله ومع ذلك أوصاه الله تعالى هو و أخاه هارون حينما دخلا على فرعون ﴿ فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَّيِّناً لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾ (طه: ٤٤).

وفي سيرة أهل البيت نجد نماذج لهذه الدعوة الطيبة كالذي فعله الإمامان الحسن والحسين (عليهم السلام) حينما وجدا شيخاً لا يحسن الوضوء فقالا له : يا عم نريد أن نتوضأ أمامك وتحكم أيُّنا أحسن وضوءاً ، فلما رأى وضوءهما قال: يا سيدَيّ إن وضوءكما حسن ولكن عمّكما الذي لا يحسن الوضوء.

حينما رحل عنا الشهيد الصدر:

رحل[1] عنا السيد الشهيد الصدر الثاني (قدس سره) وترك وراءه فراغاً كبيراً، وهالنا وقع المفاجأة، فقد كان المرجع والقائد والأستاذ والأب والمربي والرمز والأمل، وكان الركن الشديد الذي نأوي إليه إذا أحزبنا أمر، أو داهمتنا الخطوب، أو استعصت علينا مسألة، أو أشكلت علينا معضلة، وقد كانت مصيبة كل واحد منا بقدر معرفته به (قدس سره) وبمقدار ما نهل من علومه ومعارفه وأخلاقه، وبمقدار ما علق عليه (قدس سره) من آمال، فسكبنا ما شاء الله تعالى من الدموع، وانطوت جوانحنا على ما يعلمه الله تعالى من الآلام والهموم ... وبإزاء هذه المشاعر العامة كان عندي إحساس من نوع خاص، إنه الشعور بالمسؤولية تجاه المشروع الإصلاحي الذي اختطه السيد الشهيد (قدس سره) وتوجيه الحركة الإسلامية المتنامية في العراق، وكنت أرى أن التصدي لهذه المسؤولية منحصراً بي، حيث ارتعدت فرائص الآخرين من الخوف، ولم يجرأوا حتى على فتح أبواب دورهم عندما طرقها ذوو السيد الشهيد (قدس سره) المفجوعون ليلة الاستشهاد، وهم شباب لا تجربة لهم،

---

(1) استشهد السيد الصدر (قدس سره) مساء الجمعة ٣/ ذو القعدة / ١٤١٩هـ المصادف ١٩/ ٢/ ١٩٩٩م كما هو معلوم. وقد خصَّص سماحته الفصل الخامس من مذكراته لشرح تفاصيل ليلة الاستشهاد حتى تولى الصلاة على جثمانه الطاهر، ونُشرت ضمن كتاب (السيد الشهيد الصدر الثاني (قدس سره) كما أعرفه).

وطلبوا مساعدتهم والصلاة على جثمانه الطاهر، فحرموا من هذا الفضل العظيم.

وقد اقترن هذا الإحساس بتكليفي بحمل هذه الأمانة بقرائن وجدانية، من خلال ما أفاض الله تعالى علي من الطمأنينة وقوة القلب ورباطة الجأش واستصغار الدنيا والطامعين فيها وعبدة الطاغوت ـ مهما كان جبروتهم ـ والحكمة في التصرف، مما لم أكن أعهده من قبل، وفهمت بالوجدان ما روي عن الإمام الهادي (عليه السلام) حينما قال لجلسائه يوماً – وهو في المدينة – الآن توفي أبي الجواد (عليه السلام)، قيل: وكيف علمت يا ابن رسول الله وأبوك في بغداد؟ فقال (عليه السلام): لقد داخلني من الهيبة لله تبارك وتعالى ما لم أكن أحسه من قبل، فعلمت أنني أصبحت الإمام الفعلي[1] الإمام بعد وفاة أبي (عليه السلام).

فانضم هذا الإحساس الوجداني إلى ما أعلنه السيد الشهيد(قدس سره) مراراً وفي أكثر من موطن وموقف، وبصيغ متنوعة لحوزته وأتباعه

---

(1) أراد الإمام (عليه السلام) بهذا أن فترة إمامته الشريفة قد بدأت، ومثله حديث آخر عن صفوان أنه سأل الإمام الرضا (عليه السلام) (عن الإمام متى يعلم أنه إمام؟ قال: يعلم ذلك حين يمضي صاحبه، قلت: بأي شيء؟ قال: يلهمه الله). وحديث آخر عن هارون بن الفضل قال: (رأيت أبا الحسن علي بن محمد في اليوم الذي توفي فيه أبو جعفر عليه السلام فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، مضى أبو جعفر عليه السلام، فقيل له: وكيف عرفت؟ قال: لأنه تداخلني ذلة لله لم أكن أعرفها) (الكافي:٣٨١/١، باب: في أن الإمام متى يعلم أن الأمر قد صار إليه، ح٥،٤).

ولعموم الأمة في تعيين القائد البديل – كما كان يكرر (قدس سره)، حيث كان يدعو باستمرار إلى الرجوع إلى البديل الذي يعده من طلابه قيادةً آنذاك، حتى لو لم يشهد باجتهاده؛ لحاجة الحوزة والمجتمع إلى من يقودهما ويرتب أمورهما والرجوع إلى مجتهد آخر لإبراء الذمة، حتى يشهد باجتهاده فيكون الرجوع إليه تقليداً وقيادةً لأنه الأعلم.

وكان هذا الاستخلاف للقيادة النائبة مبنياً على تقييم دقيق لاستحقاقات المرجعية القائدة علمياً وأخلاقياً وفكرياً واجتماعياً امتدّ لفترة خمسة عشرة عاماً[1]، أما المستوى الأخلاقي والفكري والحركي فيكشف عنه كتابا (قناديل العارفين) و(الشهيد الصدر الثاني كما أعرفه) وأما المستوى العلمي فقد كان النبوغ واضحاً منذ البداية وصدر في عامي ١٤١٨ - ١٤١٩هـ (١٩٩٨م) كتابان مهمان حظيا بالثناء والإعجاب، أولهما كتاب (المشتق عند الأصوليين) وتضمن تقرير أبحاث السيد الشهيد الصدر(قدس سره) في علم الأصول مع بعض المداخلات، وقد أعجب به السيد الشهيد(قدس سره) وجعله من أجزاء دورته الأصولية (منهج الأصول) مستغنياً به عن كتاباته (قدس سره).

وثانيهما كتاب (الرياضيات للفقيه) وهو فريد في بابه لذا نال إعجاب المراجع والعلماء بما تضمن من تحقيقات فقهية وأصولية ورياضيات معمقة لا

---

(١) لاحظ جذور ذلك منذ عام ١٩٨٥م في كتاب (السيد الشهيد الصدر الثاني (قدس سره) كما أعرفه)، وكتاب (قناديل العارفين): المقدمة.

يوجد من يجمعها، وناقشت فيه أساتذتي المراجع وقد شهد به السيد الصدر (قدس سره) وأوضح في بحثه الخارج – في صلاة الجمعة – عندما ناقش مسألة الفرسخ[1] وقال عنه أنه نقل الفقه من الحيض والنفاس إلى الآفاق العلمية العالية، كما أثنى المراجع الآخرون في كلمات نحتفظ بها، فكانت هذه الوثائق الإثباتية مستندة إلى حقائق ثبوتية واقعية بفضل الله تبارك وتعالى، حيث لم يعرف عن السيد الشهيد(قدس سره) المجاملة والمداهنة خصوصاً في مثل هذه الأمور المصيرية التي كان تقييمه للآخرين فيها صريحاً وواضحاً وتحمل بسبب ذلك ما تحمل.

من أيام المواجهة:

لقد كانت التوجيهات التي نصدّرها وما تثيره في الناس ترعب السلطة الحاكمة آنذاك وتؤدي إلى تدريب الناس على الطاعة والانقياد لأوامر القيادة الدينية، كالذي حصل عندما ألزمت بمقاطعة السيكاير الأمريكية والبريطانية والفرنسية رداً على إعلانهم العداء للإسلام ووصف المسلمين بالإرهابيين، وأن صراعهم الحضاري القادم هو مع الإسلام، وأن الإسلام هو عدو الغرب بعد انهيار الاتحاد السوفيتي، واخترت تحريم السيكاير لضررها أصلاً على الإنسان، وأصدرنا كتيباً بعنوان (حتى متى التدخين) لبيان تلك الأضرار صحياً واقتصادياً واجتماعياً وأخلاقياً، وكانت تجارة السيكاير بيد أولاد

---

(1) محاضرة بتأريخ ١-٢/شعبان/١٤١٩هـ الموافق ١٩٩٨/١١/٢١.

صدام ومقربيه، فاستجاب المؤمنون للمقاطعة، وأثّرت بشكل واضح على هذه التجارة، مما دعا الشركة الرئيسية التي كانت تسيطر على السوق العراقية إلى أن تبعث مندوبها من الأردن لمقابلتي[١] في مسجد الرأس، وعرّف نفسه بأنه (الشيعي) الوحيد بينهم، وكأنه لاستدرار عواطفي، وحاول بخبث أن يعزل بيني وبين القواعد التي نفذّت الأمر، وقال: إن بعض الجهلة نسبوا إلى حضرتكم هكذا قرار، فرددت عليه بحزم وقلت له: إن القرار صادر مني فعلاً، ولا يحق لك أن تسمي المؤمنين الملتزمين بالأوامر الصادرة من الحوزة (جهلة) وأنت تصف نفسك بأنك شيعي.

ثم قال بلغةٍ لا تخلو من إغراء بأن القرار تسبب في تعطيل آلاف (الكارتونات)[٢] من السيكاير في المخازن، وكل (كارتون) تكلفنا رسومه (٩) دولارات، قلت له: هذا شأنكم وعليكم أن تلتزموا بهذا القرار كأبسط إجراء لمواجهة عدوان الغرب ولحماية صحة الناس من هذا الداء، وهنا انتقل إلى التلويح بالتهديد، فقال: للعلم فإن للشركة فرع وحيد في العراق ومقره في تكريت (وهي أصل صدام وأزلامه)، ولم ألتفت إليه وانتهى اللقاء.

---

(١) كان اللقاء يوم ٢٠٠٢/٦/١٠ م الموافق ٢٩/ربيع أول/١٤٢٣ هـ

(٢) الكارتون يضم (٥٠) مجموعة المعروفة بالكروص التي تضم الواحدة ١٠ علب.

من مواعظ السلف الصالح:

لقد كان السلف الصالح مهتمين بتهذيب سلوك المجتمع من خلال إلقاء المواعظ والدروس الأخلاقية، وكان لبعضهم منابر معروفة في الصحن الحيدري الشريف كالشيخ حسين قلي الهمداني والشيخ جعفر الشوشتري (قدس الله روحيهما) ويحضر عندهم العلماء المجتهدون والفضلاء وعامة الناس، ولا زال أبناء النجف يروون بعض تلك المواعظ والدروس، وأنا اروي بعضها عن أبي عن جدي عن أبيه الشيخ يعقوب الذي كان من خرّيجي هذه المدرسة الأخلاقية (رحمهم الله جميعاً).

ومما يروى من مواعظه أنه قال يوماً لحضّار المجلس: لقد أخبرني ثقة لا يكذب أن لصّا دخل بينكم يريد أن يسرق الأشياء الثمينة منكم فأخذ الحضور غاية الحيطة والحذر وتفقد كل منهم جيوبه، وبعد برهة قال لهم: ألا تصحون من غفلتكم؟! أتحذرون كل هذا الحذر من أجل دراهم بخسة ولا تحذرون من الشيطان الذي يريد أن يسرق منكم دينكم وآخرتكم ويريد أن يضلكم ويغويكم وقد أخبركم بذلك الله تبارك وتعالى أصدق القائلين وتواتر عليه مئة وأربعة وعشرون ألف نبي إضافة إلى الأئمة والعلماء والصالحين!!

المواقف الشجاعة في عين الله تعالى:

وليس كثيراً على كرم الله تعالى وفضله ورحمته أن يهيئ للإنسان أسباباً لزيادة الأجر والتكامل حتى بعد وفاته ، وليس اعتباطاً أن يرزق الله أحداً مثل هذه الأسباب دون غيره ، لأن الأول لابد انه قام بعمل أو اتخذ موقفاً وجد رضاً وقبولاً عند الله تبارك و تعالى فأغدق عليه من كرمه ورضاه بما هو أهله.

وليس من باب مدح النفس وإنما من باب المثال والحث على اتخاذ القرارات الشجاعة و الحاسمة إذا كان فيها رضا الله تبارك وتعالى، فحينما أنهيت دراستي الجامعية في كلية الهندسة بجامعة بغداد عام ١٩٨٢ كان علي أن التحق بالخدمة العسكرية في وقت كانت الحرب الظالمة التي شنها صدام المجرم على إيران الإسلام على أشدها، و رغم أن مكان عملي كان مهندساً ببغداد وهو مكان يسعى إليه الطامحون، إلا إنني كنت في حماس الشباب و اندفاعاته في الثانية والعشرين من عمري، وكنت ممتلئاً بتحذير الأئمة لشيعتهم من الركون إلى الظالمين ومعونتهم والانخراط في مؤسساتهم، بحيث أن رجلاً يسأل الإمام (عليه السلام): إنني ممن أخيط ملابس موظفي الدولة العباسية، فهل أنا من أعوان الظلمة الذين ورد فيهم العذاب والمقت؟ فقال (عليه السلام): إنك من الظلمة أنفسهم وإنما أعوان الظلمة من يبيع لك الإبرة والخيط .

ويأتي آخر إلى الإمام ويسأله أن أبي خرج مع جيش عمر بن سعد لقتال الحسين وكان في مؤخرته ولم يباشر القتال و إنما كان يؤدي بعض

الخدمات للجيش فهل تشمله لعنة قتلة الحسين (عليه السلام) فأكد الإمام شموله باللعن وقال (لقد كثّر السواد على أبي عبد الله الحسين (عليه السلام)).

بمثل هذه الثقافة كان قلبي وعقلي مشدوداً فلم أجد أي تردد في اتخاذ قراراً بالامتناع عن الانخراط في الخدمة العسكرية ولو لحظة واحدة ولو حتى لو كان موقع عملي في باب الدار، وكان مثل هذا القرار يكلف صاحبه عقوبة الإعدام أمام مرأى الناس وزغاريد النساء وتسلم جثته إلى أهله بكل إهانة ويتعرض لضغط اجتماعي كبير من أهله والمجتمع حوله، وكانوا يستغلون ضعف والدتي المفجوعة بأبي وعدد من إخوتي يومئذ للضغط عليَّ، ولكنها (رحمها الله) كانت لا تعارض لي قراراً أو رغبة حتى انتهت تلك السنين العجاف وهذا القرار وإن كان لطفاً خالصاً من الله تعالى لا أدعي أنني كنت أهلاً له، إلا انه كان مفتاحاً لخيرات وبركات كثيرة لا زالت تغمرني حتى الآن، حيث عشت أياماً سعيدة وأنا حليف القرآن والصلاة والكتب التي بنت شخصيتي ثم أتممت لي النعمة في أوائل عام ١٩٨٥ بتيسير سبل الاتصال بالسيد الشهيد الصدر (قدس سره) والتي استمرت حتى استشهاده.

ومحل الشاهد أننا يجب أن لا نقصّر عن استثمار أي فرصة للطاعة والمشاركة في أي مشروع خيري أو عمل إنساني، فلعل هذا العمل بالذات هو الذي يقع في محل الرضا والعطاء الإلهي والنفحات الخاصة، فقد ورد في الحديث الشريف إن الله تعالى أخفى وليّه بين عباده لكي تحترم الجميع ولا

تستحقر أحداً مهما كان ضعيفاً أو رثّ الحال لاحتمال أن يكون من أولياء الله تعالى، و أخفى رضاه في طاعته أي أخفى مقدار الرضا و العطاء على أنواع الطاعات لكي يهتم الإنسان بها جميعاً ولا يفّرط في أي واحدة منها إذ لعل هذه هي من أسباب الألطاف الإلهية الخاصة.

إيصال صوت الإسلام الحقيقي:

العمل بقوة على إيصال صوت الإسلام الحقيقي من خلال بث تعاليم وأخلاق أهل بيت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، وسوف تجد الاستجابة السريعة لديهم، قال تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَاناً وَأَنَّهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ (المائدة: ٨٢)، فإن تلاوة مثل هذه الآيات المباركة حتى لو لم يفهموها فإنها تؤثر في نفوسهم.

كما روى المرحوم سيد قطب في كتابه (في ظلال القرآن) أنه أمَّ الجمعة في باخرة كانت متوجهة إلى الولايات المتحدة وبعد انتهائه جاءته سيدة يوغسلافية وقالت له: إنني تأثرت بكلامك رغم أنني لا أفهم لغتكم، وكان ضمن كلماتك مقاطع سحرتني أكثر من غيرها وفهم سيد قطب إنها تعني الآيات القرآنية التي كانت تشتمل عليها الخطبتان.

ولنا في سيرة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الذي نعيش ذكرى رحيله شواهد أعتقد أنها تؤثر في شخصية الغربيين ومن ذلك انه كان خارجاً في جيش له فرمى أحد أصحابه قطة بحصاة فقال له (صلى الله عليه وآله وسلم) استعد للمساءلة يوم القيامة، وفي حادثة مماثلة رأى (صلى الله عليه وآله وسلم) طائراً يحوم فوق رأس الجيش ويتابعهم في المسير فسأل (صلى الله عليه وآله وسلم) عن حاله فقال أحدهم إنه أخذ صغاراً من عش هذا الطائر فهو يحوم لعدم صبره على فراقها، فأمر (صلى الله عليه وآله وسلم) الجيش

بالتوقف وأن يعود ذلك الرجل بالصغار إلى العش، ثم قال لأصحابه، إن الله تبارك وتعالى أرحم بعباده من هذا الطائر بصغاره! فأين طواغيت الحضارة المادية والمتسلطون الذين يسحقون شعوباً بأكملها من أجل نزواتهم ومطامعهم؟

إن هذه الدعوة لابد أن تكون بآليات وبلغة مقبولة لديهم ومؤثرة فيهم، مثلاً حدثني أحد الفضلاء في ايرلندا إن خطيباً صعد المنبر ليشرح هدف ثورة الحسين (عليه السلام) فقال: لأن يزيد كان يشرب الخمر ويزني ويضرب بالآلات الموسيقية فلم يجد الحضور مشكلة في ذلك فهذه عندهم المتع واللذات التي يسعون من أجلها، لكن هذا الفاضل - وهو طبيب اختصاصي - قال إن الإمام الحسين (عليه السلام) أعلن الثورة على يزيد لأنه ظالم ديكتاتور بدد ثروات شعبه على نزواته الخاصة، وحرم الناس من ممارسة حرياته وقتل واعتقل بلا محاكمات قانونية وهكذا، فأيد كل الحاضرين القيام بالثورة، والخطيب طبعاً لم يخرج عن الصدق والواقع لكنه تحدث بلغة تتماشى مع ثقافاتهم.

أسلوب عملي للتأسي برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)[1]

إنني أكلفكم بعمل لله فيه رضا ولكم فيه صلاح تستثمرون من خلاله الحالة المعنوية التي تعيشونها في هذه الذكرى المباركة، حيث توزع فيها (عيديات) على المؤمنين وتتعرضوا لنفحات الله تبارك وتعالى وألطافه.

فإن الله تعالى يحثكم على التأسي برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بقوله: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً﴾ (الأحزاب: ٢١)، ولتحقيق هذه الحالة ليقرأ أحدكم سيرة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) والحوادث التي مرت به وما نقل عنه من أقوال وأفعال ويحاول أن يستنبط منها دروساً في جميع المستويات، ابتداءً من حياته الخاصة إلى علاقته مع الله تبارك وتعالى وعلاقته داخل بيته ومع الآخرين وهكذا، فستجتمع عندكم حصيلة من الدروس التربوية تكون نبراساً لكم في العمل الصالح وإذا ضممتم ما استفاده بعضكم إلى ما استفاده البعض الآخر ويُنقح المجموع فسيتم لدينا كتاب مفيد للأجيال

---

(1) ورد هذا الكلام في حديثه (دام ظله) مع موكبي مالك الأشتر من مدينة الصدر في الناصرية وموكب السراج المنير من القرية العصرية في الناصرية وحشد آخر من المدينة وغيرها من المدن العراقية، ونشر في الصفحة الثانية من العدد (٢٢) من صحيفة الصادقين الصادر بتأريخ ٢٦ ربيع الأول ١٤٢٦ الموافق ٥ آيار ٢٠٠٥.

عنوانه (دروس تربوية) مستفادة من سيرة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) واضرب لك أمثلة:

١ ـ لو أن أحدكم أمر زوجته أو ولده بأن يأتيه بقدح من الماء أو أي شيء آخر فلم يفعل لسبب أو لآخر فإنه غالباً سيزجره ويعنفه وربما يضربه وقد تحصل خلافات زوجية تؤدي إلى الطلاق لمثل هذه الأسباب، وقد يتقبل الأمر بروح رياضية ويقوم بنفسه ليشرب الماء وحينئذٍ ستشعر الزوجة أو الولد بالتقصير وستعتذر وتندم وتتحمس للقيام بما يسعد الزوج، وهو الأسلوب الصحيح للتربية وعلى مثل هذا يربينا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حيث نقل خادمه أنس بن مالك: إنني خدمت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عشر سنين فلم يقل لي يوماً لشيء فعلته لِمَ فعلته؟ ولا لشيء لم أفعله لِمَ لم تفعله؟ فهذا درس في الحلم وسعة الصدر ومداراة الآخرين وعدم إزعاجهم.

٢ ـ ودرس آخر في الرحمة بالآخرين حتى بالحيوانات فقد رأى أحد أصحابه رمى حيواناً بحجر فقال له: استعد للمساءلة أو ذبح عصفوراً عبثاً فيقول (صلى الله عليه وآله وسلم) له: أن هذا العصفور سيقودك للقصاص يوم القيامة أمام الحكم العدل ويقول: يا رب سل هذا لِمَ ذبحني وهو لا يستفيد من لحمي، وأوقف جيشاً كان يقوده عن مسيرته لأنه علم أن أحد أفراد الجيش قد اخذ صغار طير أثناء مسيرهم وأمهم تحوم فوق الجيش لا تستطيع مفارقة صغارها فأمر ذلك الرجل أن يعيد الصغار إلى عشها ليطمئن

الطير ثم تحرك الجيش، وهؤلاء أدعياء حقوق الإنسان والديمقراطية يسحقون شعوباً بأكملها ويهلكون الحرث والنسل من أجل أهوائهم ومصالحهم.

٣ ـ ونستفيد منه (صلى الله عليه وآله وسلم) درساً في إنصاف الآخرين ورد مظالمهم ومحاسبة النفس حيثما جمع (صلى الله عليه وآله وسلم) أصحابه وقال يوشك أن أدعى فأجيب فأيما رجل له مظلمة فليقتص مني في دار الدنيا فإني لا أقدر على ردها في الآخرة فقال له أحدهم: إنك يا رسول الله في يوم كذا وفي زحمة الناس كنت تريد ضرب ناقتك بسوطك المشوق فأصاب جسدي فدعا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بسوطه وكشف عن محل القصاص فقبله ذلك الرجل واستعاذ بموقع القصاص من جسد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من النار.

وهكذا يمكن أن نتعلم من رسول الله (صلى الله عليه وآله) الكثير من الدروس العملية في الأخلاق والسلوك.

دعوة المؤمنين إلى أن تكون قلوبهم وعقولهم أودية كبيرة لمعارف القرآن الكريم[١]

قال تعالى ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا﴾ (الرعد: ١٧) ومعنى الآية الظاهري واضح ولا شك أن الأودية الكبيرة تستوعب وتتلقى كمية أكبر من مياه الأمطار النازلة على الأرض من الأودية الصغيرة.

لكن القرآن الكريم يعبّر عن هذه الأوصاف بأنها أمثال يضربها للتعقل والتفكر والتدبر في حقائقها التي يرجع إليها تأويلها ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ (آل عمران: ٧) فإن القرآن يصف نفسه بأنه عبارة عن حقائق واقعية محفوظة في اللوح الإلهي ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ، فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ﴾ (الواقعة: ٧٧ ـ٧٨) أي كتاب محفوظ في علم الله تبارك وتعالى ويقول عنه ﴿لا يَمَسُّهُ إِلا الْمُطَهَّرُونَ﴾ (الواقعة: ٧٩) أي لا يصل إلى حقيقته ومعرفة أسراره ألا المطهرون الذين طهروا قلوبهم من الرين ونفوسهم من الرذائل، والمصداق الأكمل لهم هم المعصومون ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أهل الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ (الأحزاب: ٣٣)، ولهذا فإن القرآن

---

(١) من كلمة مطولة تحدث بها سماحة الشيخ (دامت تأييداته) مع وفد ضم العشرات من ممثلية شهداء الفضيلة التابعة لتنظيم حزب الفضيلة في مدينة الصدر ببغداد يوم الثلاثاء ١٠ ربيع الأول ١٤٢٦ ونشرت في الصفحة الأولى من العدد (٢٣) من صحيفة الصادقين الصادر بتأريخ ١٠ ربيع الثاني ١٤٢٦ المصادف ١٩ آيار ٢٠٠٥.

يفسر بعضه بعضاً لأنه قال عن نفسه أنه تبيان لكل شيء وأنه ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ (الأنعام: ٣٨) فهل يعجز عن بيان معاني نفسه؟!

وفي ضوء هذا فإن الإنسان يتلقى هذه المعارف الحقيقية والمعاني الواقعية. بمقدار جهده في تطهير قلبه وتهذيب نفسه، وهذا أحد معاني الآية الشريفة التي افتتحنا بها الحديث، فإن الماء النازل من السماء مثل للمعارف والألطاف التي يمن بها الله تبارك وتعالى على عباده، والأودية تشير إلى العقول والقلوب وقد ورد في الحديث (إنما القلوب أوعية فأفضلها أوعاها)، فينبغي للمؤمنين أن يتسابقوا في تطهير قلوبهم ونفوسهم لتزداد معرفتهم بالله تبارك وتعالى من خلال القرآن الكريم.

ينقل[1] عن ثلاثة من كبار علماء الشيعة وهم السيد إسماعيل الصدر والسيد حسن الصدر والمحدث النوري، أنهم زاروا أحد العلماء في الليلة الأولى من شهر رمضان المبارك، ففسر لهم آية بتفسير وجدوه واضح الانطباق على الآية واستغربوا من عدم التفاتهم إليه، ثم زاره في الليلة الثانية ففسر لهم نفس الآية بتفسير آخر بنفس الوضوح واستغربوا أيضا من عدم التفاتهم، وهكذا إلى نهاية الشهر. فهذه معارف وعلوم القرآن الكريم وهذا

---

(١) رواها السيد محسن الحكيم (قدس سره) في كتابه (حقائق الأصول: ٩٥/١) وذكر أن الآية هي [وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُوْلَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ] (الحجرات:٧).

لطف الله تبارك وتعالى بعباده المخلصين في إراءتهم هذه المعاني في اللوح المحفوظ.

وإنني حين أذكر هذه الفكرة لأمرين:

الأول: حثكم على التواصل مع القرآن الكريم والتفاعل مع معانيه ومعارفه وحقائقه لأن فيه مفاتيح الخير كله.

الثاني: دعوتكم إلى مضاعفة الهمة والحماس والشعور بالمسؤولية في العمل الإسلامي المبارك، والتمهيد لدولة العدل الإلهي ولتكونوا من الأودية الكبيرة التي لا تحمل هم نفسها أو مدينتها بل تتوسع فيه.

وإني اعتقد أن أبناء مدينة الصدر لديهم الاستعداد والإخلاص والهمة ما يؤهلهم لتغطية مساحة العمل ليس على مستوى مدينة الصدر بل الرصافة كلها، إذا اعتبرنا مسؤولية مدينة الشعلة عن الكرخ كلها كما قلت في حديث سابق، بل أن لمدينة الصدر الفضل في أحياء الشعائر وتفعيل قضايا الإسلام والوطن على صعيد بغداد كلها، وهذا ما أثبتته التجارب حيث أظهروا أن بغداد هي مدينة الإمام الكاظم والجواد عليهما السلام ومعقل أهل البيت لا كما يريد أن يصورها الآخرون.

إن الأهداف الدنيوية محدودة وتنتهي، ويصل الإنسان إلى اللحظة التي يشعر انه كان يجري وراء سراب ووهم، إما الأهداف المعنوية فهي مفتوحة نحو الكمال ولا حدود لها لأنها تتوجه نحو اللامحدود.

وذكر لهم مثلاً أغنى رجل في العالم الملياردير (بيل غيتس) مالك شركة مايكروسوفت فهو يملك مليارات الدولارات لكنه قال لأطبائه النفسيين ومستشاريه أني متألم لأني لا أجد فرقاً بيني وبين من يملك مئات الملايين من الدولارات فكلانا يركب احدث سيارة ويسكن أجمل قصر ويتمتع بألذ المأكولات وأنا أريد أن أتميّز عنهم فقال له أحد استشاريه يمكنك الامتياز عنهم بالتوجه نحو مشاريع الخير والإحسان والأعمال الإنسانية فأنها واسعة، وهي نصيحة حكيمة.

ويروى أن عبد الملك بن مروان الطاغية المتكبر الذي يمثل الحجاج الثقفي المجرم السفاك إحدى سيئاته اطلع من شرفة قصره قبيل موته فرأى قصّاراً يغسل الثياب على النهر، فتمنى لو كان مثله ولا يتورط بهذا الملك الظالم المهلك، ولما وصلت الكلمة إلى القصّار قال الحمد لله الذي جعلهم يتمنون ما نحن فيه عندما ينزل بهم الموت ولا نتمنى ما هم فيه إذا نزل بنا الموت.

صدق نبوءة الشهيد السيد محمد باقر الصدر (قدس سره) على الائتلاف

نعبر عن قلقنا بسبب تخلي الحركات الإسلامية عن مشروعها الرسالي وانشغالها بالصراع على المواقع في السلطة واكتساب المغانم الشخصية وتحولت السلطة إلى غاية وليست وسيلة للإصلاح والتغيير الإيجابي، مما أدى إلى شعور عام بالخيبة والإحباط من نجاح المشروع الإسلامي لأن الأداء السيئ و التطبيق الفاشل يؤدي إلى الشعور بفشل المشروع وهذا خطر عظيم جناه هؤلاء الذين يرفعون اللافتات الإسلامية .

بل الأمر أدهى من ذلك فإن عدداً من القوى المهيمنة على القرار في الائتلاف مارست حملة ظالمة واسعة لتسقيط سمعة أبناء المرجعية الرشيدة الرسالية محاولين قتل شخصية هذا الكيان وتصفيته وهو اشد عند الله تعالى من قتل الشخص، فصدقت عليهم نبوءة السيد الشهيد محمد باقر الصدر (قدس سره) الذي قال في محاضرته الأخيرة عن حب الدنيا قبيل استشهاده: (من منكم عرضت عليه دنيا هارون ولم يقتل الإمام موسى بن جعفر) وها هو حب الدنيا والتسلط يعمي بصيرة هؤلاء ويدفعهم إلى الخوض في هذه الكبائر فبئست الصفقة.

وقد حذر السيد الشهيد (قدس سره) من أن التغيير قد يكون تغييراً في (مواقع الظالم) وليس تغييراً للظلم وإنما يكون التغيير حقيقيا إذا عالج الظلم والفساد والانحراف وأقام العدل والصلاح.

إن الابتعاد عن الموقع لا يعني تخلي المؤمن عن عمله الرسالي إذا كان يعيش الإسلام همّاً وإنما يعني التنوع في آليات العمل وتحمل المسؤولية ، نعم من يرى السلطة غاية ومغنما فانه يرى انتهاء كل شيء حينما يفقد هذا الموقع .

استقبال شهر رمضان المبارك

كنتُ أشرح لبعض أفراد عائلتي خطبة أمير المؤمنين (عليه السلام) الموجودة في نهج البلاغة وهي في الموعظة ومما جاء فيها (أوصيكم عباد الله بتقوى الله الذي ألبسكم الرياش ، وأسبغ عليكم المعاش ، فلو أنَّ أحداً يجدُ إلى البقاء سلماً ، أو لدفع الموت سبيلاً ، لكان ذلك سليمان بن داود (عليه السلام) ... أين العمالقة وأبناء العمالقة ! أين الفراعنة وأبناء الفراعنة ! أين أصحاب الرسّ الذين قتلوا النبيين وأطفأوا سنن المرسلين واحيوا سنن الجبارين ! أين الذين ساروا بالجيوش ، وهزموا الألوف ، وعسكروا العساكر ، ومدّنوا المدائن ؟...

ألا إنه قد أدبر من الدنيا ما كان مقبلاً وأقبل منها ما كان مدبراً ، وأزمع الترحال عبادُ الله الأخيار . باعوا قليلاً من الدنيا لا يبقى بكثير من الآخرة لا يفنى)

هنا ضربت لهم مثالاً بشهري رجب وشعبان فقد كنّا نترقب شهر رجب حينما كان مقبلاً علينا لنستثمر هذه الفرصة في التقرّب إلى الله تبارك وتعالى بالأعمال الصالحة وها قد جاء رجب وانقضى وأدبر بعدما كان مقبلاً

وها هو شهر شعبان الذي كان مدبراً حينما فارقناه في العام الماضي أقبل علينا ببركته وسعة الألطاف والنفحات الإلهية فيه وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يأمر منادياً حينما يهلّ شعبان فيتجول في شوارع المدينة معلناً حلول هذا الشهر ويخبرهم أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول أن شهر شعبان شهري ويطلب من يعينه على شهره فاغتنموا هذه الفرص فإنها تمر مرّ السحاب وسرعان ما يدبر منها ما كان مقبلاً ويقبل ما كان مدبر.

وبعده يأتي شهر رمضان سيد الشهور وأعظمها وفيه ليلة خير عند الله من ألف شهر وهي ليلة القدر فلنستقبله بمراسم تناسب عظمته وتلفت نظر الناس إلى الاستعداد له ومعرفة عظمته وحرمته وكرامته عند الله تعالى وتشمل هذه المراسم الاحتفالات والتجمعات وتعليق اللافتات المتضمنة لأقوال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والأئمة في هذا الشهر وأعماله والمناسبات فيه ويحسن إقامة هذه التجمعات والاحتفالات في آخر جمعة من شعبان المصادفة ٢٨ منه تأسياً بالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ (المطففين: ٢٦) ﴿فَاسْتَبِقُواْ الْخَيْرَاتِ﴾ (البقرة: ١٤٨) ولا تشغلكم هذه الدنيا بكل تفاصيلها عن الاهتمام بتعاهد فروض ربكم وما يقرّبكم إليه.

موعظة لأساتذة الحوزة الشريفة:

لا يفوتني هنا أن أعظ نفسي بما نُقل عن المرحوم الشيخ الأنصاري (قدس سره) أنه دخل المسجد يوماً فوجد أستاذاً يدرّس كتابه المكاسب وهو يشرح المطالب بعيداً عن مراد مؤلفه الأنصاري فجلس ناحية يبكي ولما سُئل عن السبب أجاب إن هذا الأستاذ إنما ناقش مطالبي بسبب أنه لم يفهم مرادي ولعلّي أنا حينما ناقشت الفقهاء العظام لم أكن أفهم مرادهم فتكون إساءة بحقهم.

أقول: على هذا الأدب الرفيع يجب أن تسير نقاشاتنا، وبحسن الظن هذا والإكبار والإجلال نؤسس للحوار والنقاش، ليبارك لنا الله تعالى في حركتنا فننتفع أعظم النفع والفائدة مما سطّره السلف الصالح ونستنطق علومهم وأفكارهم ونوصل ذلك كله إلى الفضلاء من طلبة العلم ليستفيدوا وليرتقوا في مراتب العلم وليواصلوا حمل الأمانة التي تفضّل علينا الله تبارك وتعالى بها وهي نشر فقه أهل البيت (سلام الله عليهم) وعلومهم ومعارفهم.

وإن في هذا إدخالاً للسرور على النبي وآله (صلى الله عليهم أجمعين) فقد ورد عنهم (عليهم السلام) (أحيوا أمرنا رحم الله من أحيا أمرنا) ولتبقى الحوزة العلمية الشريفة منجبة للفقهاء الذين يقول الإمام الباقر (عليه السلام) لأحدهم وهو أبان بن تغلب (اجلس في مسجد المدينة وأفتِ الناس فإني أحب أن يُرى في شيعتي مثلك)[1].

([1]) معجم رجال الحديث: ٢٠/١.

مقام الشيعي:

قيل للصادق (عليه السلام): إن عمار الدهني[1] شهد اليوم عند قاضي الكوفة بشهادة فقال له القاضي: قم يا عمار فقد عرفناك، لا تُقبل شهادتك لأنك رافضي، فقام عمار وقد ارتعدت فرائصه واستفرغه البكاء فقال ابن أبي ليلى (القاضي): أنت رجل من أهل العلم والحديث إن كان يسوؤك أن يقال لك رافضي فتبرأ من الرفض وأنت من إخواننا فقال له عمار: يا هذا ما ذهبت والله إلى حيث ذهبتَ، ولكني بكيت عليك وعليّ، أما بكائي على نفسي فنسبتني إلى رتبة شريفة لستُ من أهلها، زعمتَ أني رافضي، ويحك حدثني الصادق (عليه السلام) أن أول من سمي الرافضة السحرة الذين لما شاهدوا آية موسى (عليه السلام) في عصاه آمنوا به واتبعوه ورفضوا أمر فرعون واستسلموا لكل ما نزل بهم فسماهم فرعون الرافضة لمّا رفضوا دينه، فالرافضي من رفض كل ما كرهه الله وفعل كل ما أمره الله، وأين في الزمان مثل هذا، فإنما بكيت على نفسي خشية أن يطّلع الله على قلبي وقد تقبلت هذا الاسم الشريف على نفسي فيعاتبني ربي عز وجل ويقول: يا عمار أكنت رافضاً للأباطيل عاملاً للطاعات كما قال لك فيكون ذلك مقصرا بي في الدرجات إن سامحني، موجباً لشديد العقاب علي أن ناقشني إلا أن

---

(١) أبو معاوية بن عمار البجلي، وُصف بأنه وجه إن كان ثقة في أي عند العامة (معجم رجال الحديث :ج١٢: ص٢٧٤).

يتداركني مواليّ بشفاعتهم، وأما بكائي عليك فلعظم كذبك في تسميتي بغير اسمي وشفقتي الشديدة عليك من عذاب الله: أن صرفتَ خير الأسماء الحسان وجعلته من أرذلها)[1].

وفي ضوء هذا كان أهل المعرفة بحقيقة ولاية أمير المؤمنين ليس فقط يصبرون على البلاء وإنما يعتبرونه نعمة تستحق الشكر وقد تقدم في الحديث الشريف: (لن تكونوا مؤمنين حتى تعدوا البلاء نعمة والرخاء مصيبة وذلك أن الصبر عند البلاء أفضل من الغفلة عند الرخاء).

---

(١) مجموعة ورّام:ج٢/ص١٠٦.

مشاكل المرجعية على نوعين:

إن كثيراً من المشاريع الإصلاحية للأنبياء و الرسل و الأئمة و العلماء والقادة إنما تفشل في بلوغ المراد بسبب القيادة الوسطية التي تدير مفاصل المشروع و تتعامل ميدانيا مع الجمهور، و لنأخذ مثالا من حياة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فإن الحلقة القريبة منه و التي تصدَّت لقيادة المشروع الإسلامي من بعده رغم أنها واكبت مسيرته الطويلة خلال عشرين عاماً و تعرف أنه مسدد من الله تعالى ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلا وَحْيٌ يُوحَى﴾ (النجم: ٤) لما دنت منه الوفاة و قال (صلى الله عليه وآله وسلم) (ائتوني بدواة لأكتب لكم كتاباً لن تضلوا من بعده أبداً) قال أحدهم (إن الرجل ليهجر) و اختلفوا عنده حتى زجرهم و أمرهم بالخروج من داره لأنهم علموا أن كتابه (صلى الله عليه وآله وسلم) يخالف مصالحهم و يحبط مخططاتهم .

و أما توبيخ أمير المؤمنين لأصحابه الذين ملأوا قلبه قيحا فقد ملا بطون الكتب، وهي عين المشكلة التي يواجهها الإمام المنتظر في غيبته الطويلة فانه ينتظر وجود (٣١٣) رجلا يقود بهم مشروعه العالمي العظيم ولم يجدهم إلى الآن.

فالحالة التي تشكو منها الجماهير طبيعية وتاريخية و أن كانت سيئة في نفسها، وما دمنا ممهدين للظهور الميمون فعلينا أن نعمل لبناء هذه الحلقة الوسطية القادرة على إنجاح المشروع الإلهي، وأريد أن الفت نظر كثير من

المعترضين إلى أن أي واحد منهم لو تصدى إلى موقع المسؤولية لما كان أفضل من صاحبه بدليل أن تغييرات كثيرة تجري و وجوها تتبدل ولم يتحسن الحال و ربما ساء في كثير من الحالات .

فعلى الجماهير أن تعي ـ كجزء من الحل ـ أن هذه المشكلة متأصلة و مهما بذلنا من جهد فإننا لا نستطيع استئصالها ، و أتذكر إنني قلت للسيد الشهيد الصدر الثاني (قدس سره) في أوائل تصديه للمرجعية بعد الانتفاضة الشعبانية المباركة عام ١٩٩١ أن أخطاء موروثة للمرجعية أوجبت نفور الناس فما هو تخطيطك لتجنبها ؟ قال (اعلم أن الأخطاء المحسوبة على المرجعية على قسمين : فبعضها هي مسؤولة عنها و يمكن إصلاحها وأخرى لا يمكن إصلاحها) .

العمل الإسلامي وآليات الإصلاح:

حينما استشهد أستاذنا السيد محمد الصدر (قدس سره) في ٣/ ذ.ق/ ١٤١٩ المصادف ١٩/ ٢/ ١٩٩٩ عشت ومعي كل المحبين والموالين عواطف جياشة أشرت إليها إجمالا في كتابي (الشهيد الصدر الثاني كما أعرفه)، ولكن ذلك لم يكن عائقاً عن التفكير في آليات العمل لما بعد ذلك الحادث الأليم حيث إن كثيرا من القنوات التي تحرك بها السيد الشهيد (قدس سره) وعلى رأسها صلاة الجمعة أصبحت متعذرة فقد ابلغنا جلاوزة النظام ونحن في مجلس العزاء بمنع إقامة صلاة الجمعة في الكوفة، وقد كان بعض الأخوة معنا في المكتب رغبوا إليَّ في إقامتها باعتباره (قدس سره) قد اختارنا لإمامة الصلاة في مسجد الكوفة في حياته ويكون هو (قدس سره) أحد المأمومين فيكون من الأولى إمامتها بعد استشهاده ، لكننا لم نجعل العواطف والانفعالات هي مصدر القرار و أمامنا تجربة الإمام السجاد (عليه السلام) حينما خطب في الكوفة بعد استشهاد أبيه الحسين (عليه السلام) ووبّخهم وعرّفهم بعاقبة فعلتهم الشنيعة فعرضوا عليه النصرة والثورة على ابن زياد ولكنه (عليه السلام) كان له دور طويل يؤديه خلال (٣٤) عاما ورسالة عظيمة يؤديها للأمة لا تبتني على ردود الأفعال العاطفية.

وقد عشتُ مثل هذا الضغط الجماهيري الذي كان يطالبنا بالسير بنفس آليات السيد الشهيد (قدس سره) في تلك الأيام، إضافة إلى ضغط الطغاة والقتلة المجرمين الذين كانت سيوفهم تقطر دماً وتراقب الحركات و

السكنات وتتحسب لكل خطوة وحركة.

إضافة إلى ضغط التقاليد والمعايير الحوزوية التي عانى منها السيد الشهيد الصدر (قدس سره) منها قبلي وحاصرته ومنعت جزءاً من عطائه.

ورغم كل ذلك فقد وضعت برنامجاً لعملي في تلك الأيام العصيبة على شكل نقاط ورؤوس أقلام تصل إلى العشرة ثم بعد أشهر وضعتُ تفصيلات هذه النقاط[1] وسرتُ عليها بمقدار ما يسّره الله تبارك وتعالى بلطفه وكرمه وحسن توفيقه وتفاجأ العالم كله بعد السقوط بسعة و قوة الحركة الإسلامية المباركة في العراق وما كان لذلك أن يتحقق ويستمر لولا رعاية الله تبارك وتعالى وتوفيقه لثلّة من عباده الصالحين العاملين المخلصين.

---

(١) طُبعت بعد سقوط النظام بكراس عنوانه (المعالم المستقبلية للحوزة العلمية) ويمكن ملاحظة تأريخ كتابتها في نهايتهِ وهو لا يتضمن طبعاً مشاريع ما بعد سقوط النظام.

في سبيل الوحدة الإسلامية:

لقد تعلّمنا من السيدة الزهراء (سلام الله عليها) العلاج الصحيح للفرقة بين المسلمين والسبيل إلى لم شملهم وتوحيد كلمتهم كما أراد الله تعالى لهم ذلك ، قال تبارك وتعالى: ﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ﴾ (آل عمران: ١٠٣)، فقالت سلام الله عليها (فجعل الله طاعتنا نظاماً للملة، وإمامتنا أماناً للفرقة) فالوحدة والاجتماع يتحقق بالرجوع إلى مصادر الإسلام الأصلية كتاب الله وسنة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الثابتة عنه غير المكذوبة عليه والمأخوذة عن طريق الثقات من أهل بيته وأصحابه النجباء.

كنت قبل أيام في اتصال هاتفي مطول مع أحد علماء فلسطين[١] من المهتمين بالتقريب بين المسلمين وتوحيد كلمتهم حتى يتمكنوا من إعزاز دينهم ودحر الأعداء المتكالبين عليه وناقشنا ما تقدم من عدم تحقق الثمرة من مؤتمرات التقريب وقلت له أن على إخواننا أبناء أهل السنة أن يتخذوا خطوتين على الطريق الصحيح:

الأولى: فتح باب الاجتهاد لاستخراج الأحكام الشرعية من مصادرها الأصلية وهي الكتاب والسنة الشريفة لأنهما المصدران للتشريع أما كلمات الفقهاء فمع إجلالنا إلا أنها تمثل فهمهم وما بلغه نظرهم في الدليل

---

[١] هو الشيخ محمود عبد العزيز جودة المقيم في غزة.

الشرعي وان الأدوات المتوفرة لدى الأجيال اللاحقة أعظم من السابقين تبعاً لتطور العلوم وتعميقها ثم أن الحوادث متجددة ومتنوعة وان كثيراً منها لم يتعرض لها السلف الصالح.

فالانغلاق على مذاهب عمرها أزيد من ألف عام يجمّد الفكر ويفتح الباب واسعاً أمام كل من يشتهي أن يطبق ما يشاء من الفتاوى والنصوص على الحادثة المعينة ليحقق مبتغاه لذا نرى التضارب والتشتت وعدم الانضباط في إصدار الفتاوى التي لا تتورع عن سفك الدم الحرام فلابد من ضبط الحالة وفق مقاييس علمية دقيقة ومؤهلات وهذا ما يتوفر لدى مراجع شيعة أهل البيت (عليهم السلام) حيث لا يحق لأحد إصدار الفتوى إلا بعد بلوغه هذه المرتبة العلمية السامية ونضج علمي وعملي لا يتيسر إلا للأفذاذ.

الثاني: عدم تسييس الدين وامتناع الفقهاء من السير في ركاب السلطة وإضفاء الشرعية على تصرفاتها المبنية على المصالح الدنيوية الضيقة وهي متقاطعة بين متسلط وآخر مما يولد نفوراً من الدين وتعارضاً بين مواقف العلماء وتصل إلى التشاجر والقتال، ولو تسامى الفقهاء عن حب الدنيا وعملوا مخلصين لله تبارك وتعالى وتكون علاقتهم بالحكام من أجل التوجيه والإرشاد والموعظة وتصحيح المسيرة وإصلاح الخط والفساد وتقديم المشورة وهذا الشرط أساسي في مراجع الشيعة وسموه (بالعدالة).

ولتحقيق هاتين الخطوتين يتطلب الأمر إجراء تعديلات في مناهج دراسة العلوم الدينية لتنتج مجتهدين، وأن تؤسس هذه الحواضن للدراسات

الدينية بعيداً عن تدخل السلطات الحاكمة كالحوزات العلمية الشيعية المستقلة عبر أكثر من ألف عام عن تدخل الحكومات، و أأمل أن يمنّ الله تبارك وتعالى على بغداد الحبيبة بالأمن والاستقرار والاستقلال والحرية لتكون هي الحاضنة لهذا الصرح العلمي العظيم كما كانت في عصورها المزدهرة، فقد كانت للشيخ المفيد والسيد المرتضى والشيخ الطوسي كما كانت لأبي حنيفة والشيباني والغزالي والكيلاني.

وكان طلاب العلم في كل من المدرستين يأخذ علوم المدرسة الأخرى وقد يكون بارعاً فيها فلا يعرف انتماؤه لأي منهما وألّف الشيخ الطوسي كتاب الخلاف الذي يستعرض فيه أراء علماء المسلمين من جميع المذاهب ويذكر أدلتهم ثم يختار ما هو الصحيح.

وحينئذ سيجد الباحث (كما وجدت أنا من خلال البحث الذي القيه في الحوزة العلمية في النجف الأشرف واخترت له المسائل الخلافية) أن المصدر واحد وان كثيراً من الأحاديث التي نستند إليها متطابقة بحيث لا تشعر عندئذ بوجود فرق وإنما هو بحث علمي مستند إلى أدلة معتمدة وتستغرب حينئذ من هذا التباعد والاختلاف بين طوائف المسلمين.

سياسة الإسلام وسياسة المصالح:

حينما ولي علي بن يقطين الوزارة لهارون العباسي قال له الإمام الكاظم (اضمِن لي خصلة أضمن لك ثلاث فقال علي : جُعِلتُ فداك وما الخصلة التي اضمنها لك، وما الثلاث اللواتي تضمنهنَ لي ؟ ، قال: فقال أبو الحسن (عليه السلام) الثلاث اللواتي أضمنهنَ لك أن لا يصيبك حر الحديد أبدا بقتل، ولا فاقة، ولا سقف سجن، فقال علي: وما الخصلة التي اضمنها لك ؟ قال : فقال : يا علي ، وأما الخصلة التي تضمن لي أن لا يأتيك ولي أبدا إلا أكرمته ، قال : فضمن له علي الخصلة وضمن له أبو الحسن الثلاث) وقال فيه الإمام الكاظم (ضمنت لعلي بن يقطين الجنة وألا تمسه النار أبداً).

وقد يبدو أن هذا الأمر –أعني عدم التقصير في حوائج الناس وخدمتهم وإدخال السرور عليهم ـ صعب لكن النتيجة العظيمة المترتبة عليه تستحق بذل الوسع فيه.

لما قدم الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام العراق، قال علي بن يقطين : أما ترى حالي وما أنا فيه (يعني وزارته للظالم هارون)؟ فقال: يا علي إن لله تعالى أولياء مع أولياء الظلمة ليدفع بهم عن أوليائه وأنت منهم يا علي.

وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه قال: (ما أودع أحد قلباً سروراً إلا خلق الله من ذلك السرور لطفاً، فإذا نزلت به نائبة جرى عليها كالماء في

انحداره، حتى يطردها عنه كما تطرد الغريبة من الإبل) وروي عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (إن السرور الذي يدخله المؤمن على أخيه المؤمن يخلق الله تعالى منه مثالاً ، فإذا خرج من قبره، خرج معه هذا المثال يقدمه أمامه. فكلما رأى المؤمن هولاً من أهوال يوم القيامة قال له المثال : لا تفزع ولا تحزن، وأبشر بالسرور والكرامة من الله .فما زال يبشره بالسرور والكرامة من الله عز وجل حتى يقف بين يدي الله جل جلاله فيحاسبه حساباً يسيراً ويؤمر به إلى الجنة والمثال أمامه.

وعن الإمام الصادق (عليه السلام) : (من تولّى أمراً من أمور الناس فعدل وفتح بابه ورفع ستره ونظر في أمور الناس كان حقاً على الله عز وجل أن يؤمن روعته يوم القيامة ويدخله الجنة).

لكن الواقع المر الذي نعيشه اليوم مخالف لهذه التوصيات الكريمة ، وما حادثة دار الحنان لشديدي العوق[1] عنكم ببعيد حيث أبكت حالتهم الأجانب أما السيد وزير العمل والشؤون الاجتماعية (وهو محمود الشيخ راضي) الذي تتبع الدار وزارته (وهو من أسرة دينية في النجف الأشرف

---

(1) داهمت القوات الأمريكية هذه الدار بعد وصول شكوى إليهم من ذوي الأطفال النزلاء فيها وعجز الجهات المختصة عن اتخاذ الإجراءات المناسبة وكشفت القوات الأمريكية عن إهمال الإدارة للأطفال ورميهم مربوطين على الأرض وعراة والتعامل معهم بقسوة وحرمانهم مما يخصّص لهم من أغذية وألبسة وفُرش، وكانت المشاهد التي عرضتها القنوات مؤلمة وقاسية.

وأنجبت جملة من العلماء) فيريد مقاضاة القوات الأمريكية لاكتشافها هذه الكارثة الإنسانية ويعتبرها تشهيراً بوزارته، رغم إن ذوي المعاقين لم يرفعوا شكواهم إلى الأمريكان والجيش العراقي إلا بعد يأسهم من معالجة الحال لكثرة الشكاوى التي رفعوها إلى كل المستويات في الوزارة .

لكن السيد الوزير وأمثاله من المحميين بالكتل السياسية المهيمنة سلم من المسائلة فضلاً عن اتخاذ الإجراءات الرادعة للمسؤولين ، وهذا –والعياذ بالله - سبب نزول البلاء على الأمم الذي ورد في الحديث الشريف (إنما هلك الذين من قبلكم أنهم إذا سرق الشريف تركوه ، وإذا سرق الضعيف أقاموا عليه الحد) وهو (صلى الله عليه وآله وسلم) إنما يسمي السارق الأول شريفاً بلحاظ المعايير الاجتماعية التي تعتبر مثل أبي جهل وأبي لهب وأبي سفيان شريفاً في قومه لا بلحاظ الواقع لأن السارق ليس شريفاً.

من (دوبيتات) الشيخ محمد علي اليعقوبي:

في إحدى المرات التي أصيب البلد بوباء الجراد إبان العهد الملكي والجراد الذي يكتسح أرضاً زراعية فإنه يذرها قاعاً صفصفاً، فاهتمت الحكومة يومئذٍ بمكافحته، وكان جدي الشيخ محمد علي اليعقوبي (رحمه الله) معروفاً بانتقاداته اللاذعة للحكومة وسوء إدارتها وبعض الظواهر المنحرفة في المجتمع ويعبر عن نقده ببيتين من الشعر تعرف بـ(الدوبيت) وكانت دوبيتات اليعقوبي تأخذ صداها في أوساط المجتمع وتتناقلها الألسن لما فيها من سلاسة ودقة انطباق على الحالة، ومن دوبيتاته التي تناول فيها الحالة المذكورة وهي مكافحة الجراد قوله (رحمه الله) :

ألا قل للوزارة وهي تبغي مكافحة الجراد عن البلادِ
فهلا كافحتْ في الحكم قوماً أضرُّ على البلاد من الجرادِ

ترحّمتُ عليه وعلى كل المخلصين من أبناء البلد وأنا أرى دقة انطباق وصفه على الموجودين في السلطة اليوم رغم مرور أكثر من نصف قرن على نظمه البيتين، فقد جاء هؤلاء المتسلطون من خارج البلاد كوباء الجراد وراحوا يقضمون بِنَهمٍ كل ما في هذا البلد من خيرات ومن حضارة ومن وجود، فهم كما وصف أمير المؤمنين (عليه السلام) بني أمية حينما ولي

الخليفة الثالث الخلافة وسلّطهم على الرقاب في غفلة من الزمن وسبات من الأمة (وقام معهُ بنو أبيهِ يَخضمون مال الله خضمةَ الإبلِ نبتةَ الربيع)[١].

وهي نتيجة طبيعية تحصل للأمة حينما ترجع في أمورها إلى من هو ليس بأهل وتختار عن غير بصيرة وتستسلم للظلم والانحراف، وقد حذّرت الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء في خطبتها من هذه النتيجة فقالت (عليها السلام) : (ويحهم أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدّي إلا أن يهدى فمالكم كيف تحكمون؟! أما لعمري لقد لقحت، فَنَظِرةٌ ريثما تنتج) إلى أن قالت (عليها السلام) : (وأبشروا بسيف صارمٍ، وسطوة معتدٍ غاشم واستبداد من الظالمين: يدَعْ فيئكم زهيداً، وجمعكم حصيداً، فيا حسرة لكم! وأنى بكم وقد عميت عليكم، أنُلزِمكموها وأنتم لها كارهون)[٢].

(١) نهج البلاغة، ج١، الخطبة رقم (٣) وهي المعروفة بالشقشقية.

(٢) الاحتجاج، ج١، ص١٤٨. وشرحنا الفكرة بالتفصيل في بحث (ماذا خسرت الأمة حينما ولت أمرها من لا يستحق) المنشور في كتاب (الأسوة الحسنة).

أيها الشباب الرسالي اثبتوا على الخير فإن الأمور بخواتيمها

في الحديث الشريف (إن الله يباهي الملائكة بالشاب المؤمن الذي ينشأ في طاعة الله تعالى) فمن حقنا أن نفخر بكم أيها الشباب الرساليون، إذا كان الله تعالى يفخر بكم ويباهي بكم ملائكته، لان الملائكة مجبولون على الطاعة وخلقوا مفطورين عليها ويتحركون نحوها تلقائيا، أما انتم فقد خلق فيكم نوازع الخير والشر ووجودكم محاط بالشهوات الجاذبة والأهواء الصارفة، فحينما تنجحون في هذا الصراع المرير والدقيق والمستمر الذي لا هوادة فيه فأنكم أفضل من الملائكة بالتأكيد وأعلى منهم منزلة.

وما كان لذلك أن يتحقق لولا لطف الله تبارك تعالى وحسن توفيقه إذ وفّر لكم أسباب الهداية وأوّلها أن قدّر لكم أن تخلقوا في هذا المجتمع المؤمن الموالي لأهل البيت وبذلك فقد اختصر عليكم المسافة للوصول إلى الهداية، فتصوروا لو أن أحدكم ولد في بعض المجتمعات المنهمكة في الحيوانية والبعيدة عن الإسلام في أمريكا أو في مجاهل أفريقيا فما هو احتمال هدايتكم إلى هذا الخير الذي انتم فيه.

والمهم يا أحبتي أن تثبتوا على هذا الخير وتعضّوا عليه بالنواجذ فإن الأمور بخواتيمها كما ورد في الحديث الشريف، واذكر لكم شاهدين على الحديث

أولهما: الزبير بن العوام ابن عمة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأمير المؤمنين (عليه السلام) ابن أخ خديجة الكبرى ومن السابقين

للإسلام في أوائل الدعوة الإسلامية في مكة حيث تحمّل آذى قريش ثم هاجر إلى المدينة وشارك في بدر وأحد وأبلى بلاء حسناً وله في معركة الخندق موقف جليل حين انبرى إلى الفارس من قريش الذي وقع في الخندق حينما حاول مع عمرو بن عبد ود العامري عبوره وطلب من يبارزه في الخندق فنزل إليه الزبير وقتله.

ثم بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كان من المدافعين عن بيت علي وفاطمة (صلوات الله عليهما) حتى كسر سيفه، وكان من الستة أهل الشورى وأعطى صوته لعلي بن أبي طالب (عليه السلام)، هذا التاريخ المشرف الذي لا يرقى إليه الكثيرون انهار حين بايعت الأمة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وانصرفت عنه الخلافة التي كان يحلم أن تصير إليه بعد مقتل الخليفة الثالث، حيث كان يحرّض هو وزميلاه على الخليفة، وقد أفسدت الدنيا التي انفتحت على المسلمين قلوب الكثير من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) (حب الدنيا رأس كل خطيئة) حتى ترك أحدهم من الذهب ما يُكسَر بالفؤوس.

الزبير صاحب هذا التاريخ وهذه المواقف الجليلة يقود حرباً على أمير المؤمنين الإمام الحق والزبير يعرفه أكثر من غيره، وأزهقت أرواح الآلاف من المسلمين، وذكّره أمير المؤمنين بكلمات سمعاها من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في حق أمير المؤمنين فرجع عن القتال ولكن بعد أن أنشبت المنية أظفارها، ثم اغتيل من قبل أحد الجنود في جيش أمير المؤمنين (عليه السلام)

ولما جاءه قاتله بسيفه قبّله أمير المؤمنين وقال: سيف طالما كشف الكرب عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وقال (عليه السلام) لقاتله: بشر قاتل ابن صفية – وهو الزبير – بالنار.

ثانيهما: الحر الرياحي الذي كان من كبار قادة جيش الأمويين وأرسله عبيد الله بن زياد على رأس ألف مقاتل حينما علم بتوجه الإمام الحسين (عليه السلام) إلى الكوفة ليأتي به أسيراً، وحصل ما حصل بينه وبين الإمام الحسين (عليه السلام) في الطريق حتى صار القرار أن يتخذ الإمام طريقاً لا يرجعه إلى المدينة ولا يذهب به إلى الكوفة فسار باتجاه كربلاء ووقعت الواقعة.

لكن الحر هذا حينما اصطف الجيشان للقتال يوم عاشوراء أدركته ألطاف الهداية فحكّم عقله في الموقف الذي يتخذه وكانت لحظات عصيبة ومهولة فأخذ يرتعد وقال له زميله: لو سئلت من أشجع من في المصر لما عدوتك فما هذا الخوف ، قال الحر: ويلك إنني أُخيّر نفسي بين الجنة والنار ولا أختار على الجنة شيئاً والتحق بصف الإمام الحسين خجلاً معتذراً عمّا سبق منه، ولما استشهد قال له الإمام (عليه السلام): حرٌ كما سمّتك أمّك حرّ، حرٌّ في الدنيا والآخرة وسعيد في الآخرة.

هذان مثالان لفريقين من الناس فكونوا ممن لا يختار على الجنة شيئاً ولا يكون ذلك إلا بأن تعملوا العمل الذي يؤدي بكم إليها وتثبتوا عليه ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاء لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا

مَذْمُوماً مَّدْحُوراً ، وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُوراً ، كُلاًّ نُّمِدُّ هَـؤُلاء وَهَـؤُلاء مِنْ عَطَاء رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاء رَبِّكَ مَحْظُوراً﴾ (الإسراء ١٨ ـ ٢٠).

تناقلت وسائل الإعلام صور الكارثة التي حلّت بالأطفال شديدي العوق في دار الحنان في بغداد، وبدلاً من أن يعلن وزير العمل والشؤون الاجتماعية مسؤوليته الأدبية والأخلاقية عن الكارثة ويستقيل حفظاً لكرامته وتسعى الجهات المختصة لمحاسبة المقصرين، يظهر السيد الوزير المدعوم من قبل المرجعية والذي ينتمي إلى أسرة علمية جليلة في النجف الأشرف على وسائل الإعلام ويندّد بالمغرضين الذين اظهروا الحالة على وسائل الإعلام، وأنه سيقاضي القوات الأمريكية والعراقية التي داهمت المقر بتهمة الإساءة إلى سمعة وزارته، علماً بأن هذه القوات لم تفعل ذلك إلا بعد أن استنجد ذوو الأطفال بها لأنهم قدّموا بلاغات إلى كل الجهات المعنية في الوزارة على مدى عدة أشهر لإيقاف الانتهاكات في الدار ولم يجدوا أذاناً صاغية.

هذا نموذج من كثيرين من المتصدين للعملية السياسية الذين يتشدقون بتاريخ طويل من الجهاد والنضال ضد الدكتاتورية وأنهم انتموا إلى الحركة الإسلامية منذ عشرات السنين وتراهم يسقطون بسبب حب الدنيا في بئر عميقة من الظلم وسرقة أموال الشعب واللامبالاة والانغماس في الأنانية وترك الشعب يحترق والبلد يُدمّر ، فما قيمة ذلك التاريخ وماذا سينفعهم؟

أيها الشباب الأحبّة الأنقياء كلكم قادرون على أن تنخرطوا في تيارات وجهات تحقق لكم الثروة والتسلط على رقاب الناس، ولكنكم زهدتم فيها وآثرتم التمسك بمنهج الهدى والصلاح فطوبى لكم وحسن مآب وحقاً إن الله تبارك وتعالى يباهي بكم الملائكة ونحن نتقرب إلى الله تعالى بمحبتكم ومواددتكم والسعي الحثيث لخدمتكم بما نستطيع والله ولي التوفيق.

عدم التأثر النفسي:

أحيانا يكون الحكم الفقهي غير مجمع عليه لكن يتبناه الأكثر فيسمى (مشهوراً) ولا تكون الشهرة حجة ودليلاً ولا تملك التأثير على الفقيه عند الاستنباط، خصوصاً إذا كان شجاعاً وحازماً ومقتنعاً بما توصل إليه من نتيجة، وهذا هو موقف الفقهاء من كل المؤثرات النفسية والاجتماعية وغيرها التي يتعرض لها لأنه أمام مسؤولية كبرى أمام الله تعالى ورسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) والأئمة الطاهرين (صلوات الله عليهم).

وأنقل لك حادثة عن الفقيه الكبير صاحب الجواهر المتوفى سنة ١٢٦٦ هجرية، فقد نقل عنه انه لما كان يبحث في مسألة نجاسة ماء البئر إذا وقعت فيه نجاسة وكمية ما ينزح منه حتى يطهر، أغلق بئراً كان في بيته حتى يفكر بحرّية من دون الضغط النفسي الذي يوجهه لعدم القول بنجاسة البئر لأنها مصدره لاستقاء الماء داخل البيت فلما أنهى البحث عاد وفتحها.

وكذا لا يخضعون للضغوط السياسية رغم شدة ما عانوه من الطواغيت ولا للضغوط الاقتصادية رغم شظف العيش الذي لازم أكثرهم، وهذه النزاهة والأمانة والسمو والدقة في ضبط النفس شروط في مرجع التقليد.

نعم بالنسبة للمشهورين من الفقهاء يوجد لآرائهم احترام لدى البعض لأنهم أساطين الفن خصوصاً مع اقتراب عصره من المعصومين سلام الله عليهم، وربما وصل إليهم من الأدلة ما خفي علينا، وهم غير متهمين فيما أفتوا به بل العكس نتهم أنفسنا بالقصور والتقصير والغفلة عما التفتوا إليه،

من أجل ذلك يتجنب الفقيه أحياناً مخالفتهم فيفتي بالاحتياط ونحوه مما يعزز عنده حالة الاطمئنان ببراءة الذمة.

تذكير للمشغولين بالعمل الرسالي

عرّفنا المؤمن الرسالي بأنه من لا يتوقف عند حدود إصلاح نفسه وإرادة الخير له وإن كان في هذا كفاية لمن يروم النجاة، ولكنه بما يحمل من حب ورحمة بالآخرين يتحرك بعمل دؤوب لإصلاح مجتمعه وتحقيق السعادة لهم ، وهذا هو ديدن الرسل والعلماء الصادقين مع الله تبارك وتعالى ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلا يَخْشَوْنَ أَحَداً إلا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيباً﴾ (الأحزاب: ٣٩)، ﴿لِيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَداً﴾ (الجن: ٢٨).

وهذه النية الصادقة والعمل المخلص لهداية الآخرين وإصلاحهم هي من أعظم القربات إلى الله تبارك وتعالى وقد وردت أحاديث كثيرة في تفضيل العالم العامل على العابد الزاهد المنزوي والمنكفئ على ذاته. فالعمل الرسالي يمثل مرحلة متقدمة على مرحلة إصلاح النفس وتهذيبها .

وهنا أريد أن اذكَر العاملين الرساليين بأنهم أحيانا ينهمكون في العمل الاجتماعي بكل حماس وهمّة ويغفلون في خضّم ذلك عن أمور يفترض فيهم أنهم حققوها في المرحلة السابقة أي مرحلة إصلاح النفس وتهذيبها، وهذا نقصٌ بالتأكيد.

ومادمتم شباباً في مقتبل العمر فإنني أذكر لكم مثالاً لتلك الغفلة ، إذ لا يخفى عليكم اهتمام الشارع المقدس ببر الوالدين وحرمة إيذائهما حتى على مستوى قول (أُفٍ) لهما، ففي الحديث عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال:

(لو يعلم الله شيئاً أدنى من أفٍ لنهى عنه ، وهو من أدنى العقوق ، ومن العقوق أن ينظر الرجل إلى والديه فيحدَ النظر إليهما) وفي حديث آخر عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من أحزن والديه فقد عقّهما) وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: (قال رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) : ثلاثة من الذنوب تعجّل عقوبتها ولا تؤخَر إلى الآخرة: عقوق الوالدين والبغي على الناس وكفر الإحسان) وعن النبي (صلى الله عليه وآله) أنه قال: (من أسخط والديه فقد أسخط الله، ومن أغضبهم فقد أغضب الله، وإن أمراك أن تخرج من أهلك ومالك فأخرج ولا تحزنهما) وعن الإمام الصادق (عليه السلام) (عقوق الوالدين من الكبائر لأن الله عز وجل جعل العاقَ عصياً شقياً) وعنه (عليه السلام) (من نظر إلى والديه نظر ماقت –وهما ظالمان له ـ لم تقبل له صلاة)[1].

وقد عايشت الكثيرين ممن عملوا بحماس في الحركة الإسلامية منذ أكثر من ثلاثين عاماً فوجدت منهم تفريطاً في هذه الخصلة الكريمة ((بر الوالدين)) التي قرنها الله تبارك وتعالى بتوحيده وعبادته في قوله عزَ من قال: ﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً ﴾ (الإسراء: ٢٣) طبعاً نحن لا نتحدث عن مستوى فيما لو أمر الوالدان بمعصية الله تعالى كشرب الخمر أو نزع الحجاب ولا فيما إذا نهيا عن طاعة كالصلاة المفروضة وصوم

---

(١) الأحاديث موجودة في كتاب وسائل الشيعة ومستدركه.

رمضان فإن حقوقهما تقف عند هذه الحدود كما ورد (لا طاعة لمخلوق بمعصية الخالق).

ولكننا نتحدث عما هو دون ذلك إذ إن الإباء قد يقدّمون نصائح وتوجيهات إلى أبنائهم انطلاقاً من طول تجربتهم بالحياة وخبرتهم بأحداثها والوضع الاجتماعي العام والولد لا يقتنع بذلك فيخالفهما ويعاندهما فيتورط في هذه الكبيرة وهي إيذاء الوالدين، وهذا مضرٌ بعلاقته مع ربّه وبعاقبته.

وإذا أردت أن أتحدث عن مثال في تلك الفترة فهو أن الظرف الذي عشناه كان قاسياً من جهة بطش جلاوزة صدام وأمثاله، وكما عبّر هو نفسه –يقتل عشرة ألاف دون أن يرفَ له جفن ـ، وكان الشباب مندفعين بأعمال يراها الآباء لا تستحق الاصطدام مع ذلك النظام الجائر، وإنهم يمكن أن يحافظوا على دينهم وحياتهم من دون إعلان، لكن بعض الشباب كان يعارض أباه وينتقده على هذا الخنوع من وجهة نظره الحماسية، بينما ينطلق الأب من خبرته بقسوة وبطش هؤلاء الطواغيت منذ أن حكموا عام ١٩٦٣ ثم عادوا إلى الحكم عام ١٩٦٨ فلم يتورعوا عن التذويب بأحواض التيزاب والقتل بثرامة اللحم والدفن أحياء واغتصاب الحرائر وجلد الأطفال الرضّع بالأرض حتى يتناثر دماغهم، وعلى أي حال فقد حصل الذي حصل ولله عاقبة الأمور.

وأتذكر أنني سألت السيد الشهيد الصدر الثاني (قدس سره) –وهذا مثبّت في كتاب قناديل العارفين ـ عن سبب عدم ممارسته لدورٍ ميداني في

حركة السيد الشهيد الصدر الأول (قدس سره) وانعزاله في الأيام الأخيرة فقال: لسببين، أحدهما إن أبي (وهو العلامة السيد محمد صادق الصدر الذي صلى على جثمان السيد الشهيد الأول) كان يمنعني من ذلك وكانت له هيبة وطاعة عليّ وعلى السيد الشهيد الأول نفسه ، فانظر إلى عاقبته حيث أطاع أباه كيف قيّض الله تباك وتعالى له الدور الكبير في بعث روح الإسلام والعودة إلى الله تبارك وتعالى حينما حانت له الفرصة بعد انتفاضة العام ١٩٩١ .

كان سعد بن معاذ من سادة الأنصار الذين بايعوا رسول الله (صلى الله عليه وآله) في العقبة قبل الهجرة وعاهدوه على النصرة والفداء وطلبوا منه الهجرة إليه، وكان بيته مقراً للحركة الإسلامية ودعوة الناس إلى الإسلام في يثرب قبل الهجرة، وخاض مع رسول الله صلى الله عليه واله معارك الإسلام الكبرى بدراً و أحداً والأحزاب وأصيب بسهم في معركة الخندق

وبقي جريحاً إلى أن توفي وشيّعه رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأصحابه وحدّثهم رسول (صلى الله عليه وآله) إن آلاف الملائكة كانوا يشيعونه حتى لم يبقَ موطئ قدم خلف جنازته إلا وفيه أحد من الملائكة ونزل معه رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى قبره ووسّده في ملحودته فقالت أمه: هنيئاً لك يا سعد الجنة ، فقال لها رسول الله (صلى الله عليه وآله): مه يا أم سعد فلعله كان سيء الخلق مع أهله فيعذّب في قبره.

وأقول لكم إن كل الذين لم ينتبهوا إلى إصلاح أنفسهم وتطهير قلوبهم وتهذيب أخلاقهم فإن عملهم منقوص وبائس مهما تصدّروا

الواجهات الإسلامية وحملوا من ألقاب دينية أو اجتماعية ، وربما أدى بهم خبثهم الباطني إلى الهلاك بعد العمر الطويل ، وكل الذين لم يلتفتوا إلى هذه التربية فأنهم ذاقوا بدرجة من الدرجات ألواناً من العذاب عاجلاً أم آجلاً وفضحوا .

وأنت ترى اليوم الكثيرين ممن كانوا في عمركم قبل ثلاثين أو أربعين عاماً ويزعمون أنهم انخرطوا في العمل الإسلامي منذ ذلك الزمان تراهم اليوم قد تخلّوا عما امنوا به وراحوا يتصارعون بقسوة الحيوانات المفترسة على الدنيا وينتهكون من اجل تحقيق مأربهم الأنانية ما حرمه الله تبارك وتعالى، ولو كانت أسس بنائهم سليمة لبقوا مستقيمين.

فانتبهوا أيها الأحبة لإصلاح أنفسكم وتحليتها بالأخلاق الفاضلة ولا تغفلوا عن هذا (الجهاد الأكبر) مهما انهمكتم في العمل الرسالي وخدمة المجتمع فإنه يبقى (جهاداً اصغر) وان الله تعالى يعينكم ما دمتم في طاعته، واعلموا أن النفس بعيدة الأغوار معقدة التأثيرات والتجاذبات ولا يفلح في ترويضها وكبح جماحها وتوجيهها إلى الله تبارك وتعالى إلا من أدركه الله سبحانه بلطفه وتولاه برعايته لتجتازوا الامتحان الصعب، كما اجتازه الحر الرياحي حينما وقف يوم عاشوراء وكان قائداً كبيراً في جيش الخليفة الأموي يخيّر نفسه بين الجنة التي هي مع الحسين وأصحابه وان كان ثمنها الصبر على الموت ساعة، وبين النار التي هي مع جيش يزيد وكانت مزخرفة بالشهوات والسلطة والنفوذ والدنيا الواسعة فاختار الجنة ومضى شهيدا ووقف الإمام

الحسين على مصرعه وقال له (حرٌ كما سمتك أمك حر، حرٌ في الدنيا وسعيدٌ في الآخرة) فكانت هذه الشهادة وساماً قلّده إياه سيده ومولاه ليأخذ الجائزة فوراً من رب العزة والجلال.

وهكذا بقي الحر الرياحي رمزاً لكل من انتصر على نفسه حينما يتعرض لمثل هذا الامتحان الصعب ، كما بقي في تاريخنا المعاصر الشهيد الشيخ عارف البصري رمزاً لكل العاملين الرساليين الذين ترفّعوا عن الدنيا واخلصوا لله تبارك وتعالى وتفانوا في إعلاء كلمته ونصرة المحرومين والمستضعفين فمضى شهيدا وهو في ريعان الشباب وخلف هذا الذكر الخالد.

أبناء المرجعيّة الرشيدة ليسوا كالذين لا يفرّقون بين الناقة والجمل ويفضّلونهما على المبادئ

ورد في أهازيجكم و حديثكم إنكم لا تبتغون الناقة والبعير وإنما تريدون رضا الله تبارك وتعالى من خلال طاعة المرجعية الرشيدة. وهذه الفقرة تذكّرني بحادثتين تاريخيتين نذكرهما لنأخذ منها الدروس والعبر، فإن التاريخ إنما يكتسب قيمته بمقدار ما ينفعنا في حاضرنا ومستقبلنا وإلا فانه يعود مجرد قصص وحكايات كقصص عنترة بن شداد.

الأولى: إن النبي (صلى الله عليه وآله) لما هزم الكافرين في معركة حنين بعد فتح مكة وانهزموا ووقعت غنائم وفيرة بيد المسلمين وزّعها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على قريش وخصّ المؤلفة قلوبهم الذين هم حديثو عهد بالإسلام بعطايا جزيلة فكانت حصة بعضهم مئة من الإبل ولم يعطِ للأنصار شيئاً فأثيرت تساؤلات بأن هذا التصرف هل كان عن موجدة لرسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) على الأنصار وهل إنه (صلى الله عليه وآله وسلم) حنَّ لمكّة ولبني عمومته، فجمع رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) الأنصار وخطبهم لتطييب قلوبهم و إزالة هذه الظنون عنهم إلى أن قال (أما ترضون أن يرجع الناس بالناقة والبعير وتعودون برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)) فصاحوا بأجمعهم رضينا بالله وبرسوله (صلى الله عليه وآله وسلم).

الثانية: إن معركة صفين التي استمرت حوالي سنة ونصف كانت تشهد فترات هدنة وإيقاف للقتال يزور فيها الشامي العراق والعراقي الشام، وذات مرة ذهب عراقي إلى الشام، فتعلق به شامي وقال له إن هذه الناقة التي تركبها هي لي، قال العراقي إنه جمل وليس ناقة فدعواك باطلة فرفع أمره إلى معاوية الذي حكم بالجمل لصالح الشامي من دون نظر ثم همس في إذن العراقي وقال له انقل هذه الرسالة إلى علي بن أبي طالب وقل له: إن معاوية يقاتلك بناس لا يميزون بين الناقة والجمل.

بمثل هذه النماذج الساذجة والمتخلفة والحريصة على فُتات الدنيا الزائلة ابتلي قادة المشروع الإلهي العظيم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) والأئمة الطاهرين من أهل بيته صلوات الله عليهم أجمعين وكان أعداء أهل البيت (سلام الله عليهم) يراهنون في صراعهم العسكري والسياسي والعقائدي على جهل الناس وسذاجتهم فيسوقونهم إلى غاياتهم الشيطانية بالتزوير بالخداع والأباطيل، والشواهد التاريخية على ذلك كثيرة لا نحتاج إلى بيانها بحيث استطاع مثل معاوية في موبقاته وتاريخه الأسود أن يقود الناس لقتال علي بن أبي طالب المثل الكامل للإنسانية بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) والذي استحق خلافة المسلمين –رغم زهده فيها - بجميع المقاييس، إذ لو كانت الخلافة بالنص فقد نصّ عليه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في يوم الغدير وغيره، ولو كانت بالاستحقاق فهو أعلم الصحابة و أقضاهم و أشجعهم وأفضلهم و اسبقهم إلى الإيمان والجهاد

بشهادة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) والصحابة أنفسهم، وإن كانت بالانتخاب فقد أجمعت الأمة عليه وانهالت عليه في بيعة جماهيرية لم يشهد لها التاريخ مثيلاً، وإن كانت بالقرابة من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كما احتجت قريش على الأنصار بأنهم شجرة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فهو ثمرة تلك الشجرة وهو أخو رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وزوج ابنته الطاهرة الزهراء وربّاه رسول الله وتولى رعايته، أفبعد كل هذا يستطيع مثل معاوية وغيره أن يعبئوا الجيوش لقتاله وتشويه صورته والافتراء عليه.

لكننا اليوم نلمس فيكم وعياً وطاعة لمرجعيتكم الرشيدة وإخلاصاً للأهداف الإلهية العظيمة وهذا أمر طبيعي بلطف الله تبارك وتعالى وبجهود ودماء قادة الإسلام العظام ابتداءً من الأئمة الطاهرين وحتى المراجع المتأخرين كالشهيدين الصدرين (قدس الله سريهما) وعلى مدى ألف وأربعمائة عام أثمرت هذا الوعي والقدرة على التمييز بين القيادة الحقّة التي تدعوهم لما يحييهم ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ (الأنفال: ٢٤)

تغير المسؤولية تبعاً للمعرفة بالله تعالى:

من المعلوم انه كلما ازدادت معرفة الإنسان بالله تعالى ازدادت مسؤوليته، فقد تكون حالة مباحة وليست في دائرة المسؤولية ضمن مستوى معين ولكنها تكون ضمن دائرة المسؤولية في المستوى الآخر، لذا ورد في الحديث الشريف (حسنات الأبرار سيئات المقرّبين) فهي ليست سيئات بالمعنى المتعارف وإلا لما أصبحت حسنات بالنسبة للأبرار، فهي سيئات بالمعنى المناسب للمقربين.

مثلاً يستغفر البعض لأنه غفل فلبس الحذاء الأيسر قبل الأيمن على خلاف الاستحباب، وروي عن بعض العلماء أنه كان يبكي لما دنت منه الوفاة رغم أنه أنفق كل ما عنده لقضاء حوائج الناس لكنه يبكي لأنه كان يستطيع أن يستعمل جاهه لخدمة مزيد من الناس.

روى سيدنا الشهيد الصدر (قدس سره) أنه صلى ركعتي استغفار ذات مرة لأنه التقى بشخص لم يره منذ مدة فقال له: مشتاقين. ولما عاد إلى نفسه خشي أن لا يكون صادقاً.

ومستويات الناس من هذه الناحية متباينة جداً ومتفاوتة بدرجات لا تنتهي لأن الكمال لا ينتهي، وقد ورد ما يدلّ على ذلك في حديث عن الأمام علي بن الحسين (عليه السلام) أنه جاء إليه رجل فسأله (فقال له: ما الزهد؟ فقال: الزهد عشرة أجزاء فأعلى درجات الزهد أدنى درجات الورع، وأعلى درجات الورع أدنى درجات اليقين، وأعلى درجات اليقين أدنى درجات

الرضا، وإن الزهد في آية من كتاب الله عز وجلّ ﴿لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾)[١].

وقد ورد عن المعصومين (عليهم السلام) عدم جواز استعلاء صاحب الدرجة الأرقى على من هو دونه والاستخفاف به أو عدم مراعاة حاله، ففي كتاب الخصال للشيخ الصدوق (رضوان الله عليه) عن الإمام الصادق (عليه السلام) قوله لأحد أصحابه واسمه عبد العزيز: (يا عبد العزيز الإيمان عشر درجات بمنزلة السُلّم له عشر مراقي وترتقي منه مرقاة بعد مرقاة فلا يقولن صاحب الواحدة لصاحب الثانية لست على شيء، ولا يقولن صاحب الثانية لصاحب الثالثة لست على شيء ... حتى انتهى إلى العاشرة، قال: وكان سلمان في العاشرة، وأبو ذر في التاسعة، والمقداد في الثامنة، يا عبد العزيز لا تسقط من هو دونك فيسقطك من هو فوقك، إذا رأيت الذي هو دونك فقدرت أن ترفعه إلى درجتك رفعاً رفيقاً فافعل، ولا تحملنَّ عليه ما لا يطيقه فتكسره فإنه من كسر مؤمناً فعليه جبره)[٢].

وروى السيد الصدر (قدس سره) أن جدي اليعقوبي كان يقيم مجالس العزاء الحسيني في دار الميرزا النائيني (قدس سره) المرجع الديني في عشرينيات وثلاثينيات القرن الماضي فإذا أنهى المجلس قال الناس: أحسنت وأمثالها إلا النائيني فكان يقول: غفر الله لك، فسأله الشيخ اليعقوبي عن سرّ

---

(١) الخصال للشيخ الصدوق، باب العشرة، ص ٤٣٧.

(٢) الخصال للشيخ الصدوق، أبواب العشرة، ص ٤٤٨.

ذلك فقال له النائيني (قدس سره): لأنك تأتي في كلامك بروايات لم تثبت صحتها فأطلب لك المغفرة لذلك، فالتزم الشيخ اليعقوبي (قدس سره) في اليوم التالي بالتحقيق في سند الروايات وعدم ذكر إلا ما يصحّ منها فلم يؤثر في الجالسين ولم تتحرك عواطفهم ولم يتفاعلوا مع المصيبة فأذن له الشيخ النائيني (قدس سره) بالعودة إلى طريقة التسامح في الروايات أي ما يسمى بقاعدة التسامح في أدلة السنن والمستحبات، وعلّق السيد الصدر (قدس سره) بأن (حال) اليعقوبي أو درجته هي (من بكى أو أبكى أو تباكى كان له كذا من الأجر) وحال الشيخ النائيني (قدس سره) ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ فتكليفهما مختلف.

الإخلاص لله تعالى:

من كلمات الإمام الحسين (عليه السلام) مع الجيش الأموي الذي زحف لقتاله وقتله (إن الله ابتلانا بكم وابتلاكم بنا) ومفردة الابتلاء وإن استعملها الإمام (عليه السلام) نفسها في كلا الاتجاهين إلا أن مضمونها ومعناها واستحقاقها مختلف بين ابتلاء الإمام والقائد بالأمة عن ابتلاء الأمة بإمامها.

فمن وظائف القائد اتجاه أمته الإخلاص في رعايتهم وإصلاح شأنهم وهدايتهم من دون أن ينتظر من أحد جزاءاً ولا شكوراً، هذه الكلمة التي قالها الإمام الحسين (عليه السلام) مع أبيه أمير المؤمنين وأمه الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء (عليها السلام) وأخيه الحسن (عليه السلام) في حياة جدّهما رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وعمرهْا بضع سنوات ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً ،إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاء وَلا شُكُوراً﴾ (الإنسان٨ ـ٩)، فهم يفعلون الخير حباً لله تبارك وتعالى الذي يحب الخير ولوجه الله تعالى.

هذا الإحسان الخالص لله تعالى له مشهد آخر بعد أكثر من خمسين عاماً حينما كان الإمام الحسين (عليه السلام) متوجهاً بأصحابه وعياله من مكة إلى العراق، لاقاه الحر الرياحي على رأس ألف فارس من أتباع الأمويين وهم مأمورون باعتقال الإمام (عليه السلام) ومن معه وجلبهم إلى عبيد الله بن زياد والي يزيد على الكوفة وقد بلغ بهم العطش أشده وأشرفوا على

الهلاك فسقاهم الإمام (عليه السلام) بيده الشريفة عن آخرهم وسقى خيولهم، والتقى بهم الإمام (عليه السلام) يوم عاشوراء وقد حبسوا عنه الماء وطلب منهم شربة ماء لرضيعه واحتجّ عليهم أنواع الحجج، ولكنه لم يذكر أبداً إنني ألم أسقكم في الطريق وكدتم تهلكون فقابلوا ذلك الإحسان بسقي هذا الطفل الرضيع؟...لم يقل الإمام (عليه السلام) شيئاً من هذا لأنه فعل ما فعل لوجه الله لا نريد منكم جزاءاً ولا شكورا وهي الكلمة التي قالها قبل أكثر من خمسين عاماً.

فالأئمة (عليه السلام) أخلصوا للأمة ولم يدخروا عنها جهداً، فهل قابلتهم الأمة بأن أعطت كل ما عندها في طاعة الإمام (عليه السلام) يقول الإمام الباقر (عليه السلام) (بليتنا في شيعتنا عظيمة، إن أمرناهم لم يطيعونا، وان تركناهم لم يهتدوا بغيرنا).

الوعي الحركي:

قال السيد الشهيد الصدر الثاني (قدس سره) في بعض خطبه التي أثنى فيها على (الحوزة الناطقة) ويعني بها الحوزة المتحركة والتي لها شعور واسع بالمسؤولية تجاه كل شؤون المجتمع، قال فيها أن النبي (صلى الله عليه واله) والأئمة المعصومين (عليهم السلام) هم من الحوزة الناطقة، وقد تميّز في تاريخ المرجعية الدينية خطابان: أحدهما يمثل الحوزة الناطقة التي انهمكت في العمل السياسي النقي الصالح إضافة إلى مسؤوليتها العلمية والدينية والاجتماعية وثانيها الذي انغلق على نفسه واكتفى بالشؤون العلمية والفتوى، وكان السيد الشهيد يعلن انتماءه إلى الخط الأول كأستاذه الشهيد الصدر الأول (قدس سره) والسيد محسن الحكيم والميرزا النائيني الذي آزر أستاذه الآخوند الخراساني في حركة الدستور المعروفة بالمشروطة أوائل القرن الماضي.

وقال لي مرة في بعض رسائله انه قال لأستاذه الشهيد الصدر الأول (قدس سره) أن المحقق الحلي (وهو من أعاظم فقهاء الشيعة كان في القرن السابع الهجري في مدينة الحلة ويُدَّرس كتابه شرائع الإسلام في الفقه إلى الآن) كان من العلماء الواعين –وهو تعبيره السابق عن الحوزة الناطقة ـ فأيّده الشهيد الصدر (قدس سره) في ذلك.

ارهاصات سقوط النظام الصدامي:

لقد كانت الفرحة الكبيرة بزوال الطاغوت مشوبة بالقلق من احتمال أن تكون الفوضى هي البديل عن صدام، والمعروف عند العقلاء أن وجود حكومة تؤدي وظائفها وإن كانت ظالمة أفضل من الفوضى أما الظلم فيتم التعاطي معه بشكل من الأشكال وهذا القلق حصل عندي من خلال متابعتي لنشرات الأخبار والتحليلات السياسية من الإذاعات المهمة خصوصاً BBC ولم أجد عند الأحزاب والشخصيات العراقية المعارضة حينئذٍ أي برامج أو خطط لبناء عراق ما بعد صدام وكان كل نقاشاتهم عن المحاصصة وتقاسم السلطة والثروات مما يعني الكثير من الصراع والعنف والتقاتل وتغليب منطق القوة، وهذا ما نشهده اليوم تحت اسم الديمقراطية، ولكن هذا القلق لم يكن مبرراً للوقوف في وجه التغيير، لأن الوقوف في وجه الغزو والاحتلال يصبّ في مصلحة صدام وإطالة عمره وهذا ما لا يرضاه منصف، إضافة إلى أننا لا نملك الوسائل الكافية للوقوف في وجه الغزو وتحويل المعادلة إلى صالحنا وتجربتنا في الانتفاضة الشعبانية عام ١٩٩١ مؤلمة وقاسية حينما غدرت قوات الحلفاء بالشعب العراقي.

لذا كان الموقف الذي تبنيناه ووجهنا به من يرجعون إلينا هو الوقوف على الحياد في تلك المعركة لعدم وجود مصلحة في التخندق مع أي من الطرفين المتصارعين. فالأحجى هو حفظ المسلمين ومصالحهم وعدم زجّهم في مثل هذه المعركة.

في مقابل ذلك كان هناك موقفان:

الأول: هو استثمار الاندفاع الأمريكي نحو التغيير وهذا موقف الأحزاب والشخصيات التي كانت في خارج العراق وذهب بعضهم إلى الانضمام إلى المشروع الأمريكي بدعوى إمكان التوسل بالشيطان لإزالة صدام من باب الفاسد والأفسد.

الثاني: هو مواجهة قوات الاحتلال لأنها تستهدف بلداً مسلماً فيجب الدفاع عن بلاد الإسلام وان كان هذا البلد فريسة في يد صدام، وهذا الموقف كانت تريده حكومة صدام من الشعب وأقامت مؤتمرات للعلماء والمرجعيات الدينية لإصدار فتاوى بهذا المضمون، وقد تلى عدد من ممثلي المراجع بياناً بهذا المعنى في احد المؤتمرات الذي أقيم في إحدى قاعات الروضة الحيدرية الشريفة في النجف الأشرف قبيل الغزو وقد امتنعتُ عن التجاوب مع مطلب الحكومة رغم أن من أصدر مثل هذا الموقف برّره بالإكراه، لكنني اعتقد أن هذا الإكراه غير واضح لكل الناس وبالتالي سيندفع قسم منهم ـ مهما قل عدده ـ لمواجهة الغزو وخصوصاً مع الثقافة المتركزة في أذهان المسلمين التي تقضي بالدفاع ضد أي غزو كافر لبلاد المسلمين وحينئذ نتحمل مسؤولية دماء هؤلاء الناس.

لكن الذي هوّن الخطب أن أكثر المتدينين كانوا يرجعون إلينا يومئذ في المواقف الاجتماعية العامة ويأخذون بتوجيهاتنا وان كان تقليدهم في الفتاوى لمراجع آخرين وتصاعدت الثقة بيننا منذ أن تعيَّنت قيادة الحركة الإسلامية في

داخل العراق بنا بعد استشهاد أستاذنا السيد محمد الصدر (قدس سره) في شباط ١٩٩٩ ولما لمسوه من النشاط الواسع والشجاعة في اتخاذ المواقف والإخلاص في العمل. لذا فقد عمّ هذا الموقف كل طبقات الشعب والتزموا به ورجع إليه بعض العلماء الذين تبنّوا جهاد الغزاة أولاً كالسيد كاظم الحائري (دام ظله الشريف) على ما تناهى إلى سمعي يومئذ ويمكن مراجعة بياناته.

ويبدو أن قوات الحلفاء اكتشفت أن هذا الموقف الموحّد لم يأتِ جزافاً فقد نقل لي بعض الفضلاء الذين أقاموا في مدرسة البغدادي التي هي مقر جامعة الصدر الدينية طيلة أيام المعارك للحفاظ عليها أنّ الأمريكان لما دخلوا النجف سألوهم عن كيفية تحقيق مثل هذا الموقف الموحّد للعراقيين الذي ساهم بشكل أكيد في التعجيل بنهاية صدام من دون مؤونة تذكر، وبنفس الوقت لم ننصر الغزاة أو نؤيد مشروعهم.

واكشف هنا لأول مرة أن الحلفاء طلبوا مني مثل هذا التعاون قبل بدء العمليات بشهرين تقريباً فقد جاءني أحد الفضلاء ومعه شخص من أهل العمارة كان له ارتباط مع زعيم إحدى الجماعات المسلحة التي تقاتل النظام في الأهوار وأصبح عضواً في مجلس الحكم ونقل رسالة بهذا المعنى من الجنرال جون أبي زيد الذي عرفت فيما بعد أنه قائد القوات الأمريكية في المنطقة الوسطى التي تشمل العراق وأفغانستان وغيرها من دول المنطقة، لكنني أغلقت الموضوع معهما للموقف الذي أتبنّاه وهو الحياد ولأن النظام كان قاسياً في التعاطي مع من يعلم بمثل هذه الأمور ولا يخبر عنها بتهمة (التستّر)

فضلاً عمن يشارك فيها، وأنا كنت بحكم موقعي الاجتماعي ونشاطي مرصوداً بشكل مكثف من جلاوزة النظام.

القرآن الكريم يخفف آلام العاملين الرساليين[1]

من السنن الجارية في الأمم عبر التاريخ تعرّض المصلحين والعاملين الرساليين وعلى رأسهم الأنبياء والرسل والأئمة المعصومون (صلوات الله عليهم أجمعين) إلى الإيذاء المادي والمعنوي من قبل المتسلطين والطواغيت وأصحاب النفوذ (الذين يسميهم القران بالملأ) وأتباعهم من الجهلة والمنتفعين والغوغاء ﴿مَا يُقَالُ لَكَ إِلا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قبلك﴾فصلت٤٣ (وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ أَذًى كثيراً﴾ (آل عمران: ١٨٦)، ويبدي الله تبارك وتعالى على لسان أوليائه الحسرة والألم والتفجّع لهذا الموقف السلبي ﴿يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلاَّ كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُون﴾ (يس: ٣٠).

ويحكي القران الكريم فصولاً عديدة من هذه المواجهة تضمنت أقسى ألوان البطش والقسوة والانحطاط من قبل المعسكر الآخر وأسمى ألوان الصبر والمصابرة والجهاد والرحمة والشفقة من أولياء الله وعباده الصالحين، ورغم أن الإيذاء المادي المشتمل على القتل والتشريد والتعذيب الجسدي والسجن والتجويع وغيرها كان قاسيا إلا أن ما يؤلم الصالحين أكثر هو الإيذاء المعنوي

---

(١) من حديث سماحة الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) مع وفد مؤسسة الأنوار الثقافية في منطقة المعامل ببغداد يوم ١٥ ربيع الثاني ١٤٢٨ المصادف ٢٠٠٧/٥/٣ جواباً على شكواهم مما يتعرضون له من عدوان وتسقيط وحرمان من أبسط الحقوق من قبل إخوانهم المتسلطين في كتلة الائتلاف العراقي الموحد.

بالإعراض عن الاستماع إلى الحق وإتباعه وخلط الأوراق على الناس بالافتراء والكذب وقتل الشخصية بالتسقيط والتشويه لان الثاني هو الذي يحول دون نجاح مشروعهم الرسالي ويضع الحواجز بينهم _أي المصلحين_ وبين الناس فيؤلمهم ابتعاد الناس وعدم اهتدائهم إلى الحق وتنعّمهم بالرحمة التي جاؤوهم بها من ربهم ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء:١٠٧)، أما الأول فإنه يؤدي إلى التعاطف معه والالتفاف إليه واعتناق مبادئه ولو بعد حين للشعور بمظلوميته.

ومما يزيد في شدة وطأة الإيذاء المعنوي أن أتباع نفس الرسل والمصلحين يساهمون فيه عن علم وعمد أو عن جهل وغرور وأنانية بسوء تصرفهم وبعصيانهم وعدم الالتزام بتعاليم قادتهم وبضعفهم وتشتتهم والخلافات بينهم ونحوها، بينما لا يتوقع صدور النوع الأول من الأتباع والموالين.

وكان الإيذاء المعنوي أشد على قلب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الذي وصفه الله تبارك وتعالى ﴿لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (التوبة:١٢٨)، لذا كان ربّه الكريم الرحيم يسلّي قلبه ويخفف عن آلامه ويطيّب خاطره ﴿وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلاَ تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ (النحل:١٢٧)، ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ، فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنْ السَّاجِدِينَ، وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ (الحجر: ٩٧ ـ ٩٩).

بل إن سوراً كاملة نزلت لهذا الغرض كسورتي القصص ويوسف

(عليه السلام)، فالأولى تصف حالة الاستضعاف التي كان عليها قوم موسى (عليه السلام) حيث كان فرعون يقتل أبناءهم ويستحيي نساءهم وفي ذلك البلاء العظيم ولد موسى (عليه السلام) فكان من لطف الله به وتدبيره له أن يأخذه فرعون الطاغية نفسه ويرعاه حتى أصبح رجلاً رافضاً لما عليه فرعون وقومه ثم غادر مصر خوفاً من القتل حتى ورد ماء مدين وتزوج هناك ثم عاد نبياً رسولاً كليماً لله تبارك وتعالى بمعجزة عظيمة يدعو فرعون إلى عبادة الله تبارك وتعالى واستطاع أن يهدي بمعاجزه سحرة فرعون وآمن به من آمن حتى عبّأ له فرعون من الجيوش ما لا قبل لموسى والمؤمنين بهم ففلق الله تبارك وتعالى لموسى البحر وأنجاه ومن معه وأغرق فرعون وجنوده لينتصر موسى (عليه السلام) ويقيم الحق والعدل وقد عبّر الله تبارك وتعالى عن هذا التدبير بتعبير رقيق ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ (طه: ٣٩)، أي لتُصنع هذه القيادة الفذة برعاية وتدبير مباشرين من الله تبارك وتعالى، وفي نهايتها تصل السورة إلى الهدف وهو تطييب قلب رسول الله (صلى الله عليه وآله) والتخفيف عن آلامه التي اشتدت في السنين الأخيرة من وجوده المبارك في مكة حيث حوصر ثلاث سنين في الشعب حتى فقد ناصريه خديجة وأبا طالب ثم أُمِر بالهجرة ومغادرة مكة التي تعلق بها قلبه فوعده الله تبارك وتعالى بأنه عائدٌ إليها ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ﴾ (القصص: ٨٥)، وما مرت إلا ثمان سنوات ـ وهي ليست كثيرة في عمر الزمن ـ حتى تحقق الوعد الإلهي بفتح مكة.

وتتحدث سورة يوسف عن ذلك الغلام الصغير الذي حسده أخوته فالقوه في الجب ليهلك ولم يكن هناك أمل بنجاته لكن التدبير الإلهي أتاه بقافلة لتستقي فخرج مع الدلو وباعوه في مصر إلى عزيزها الذي رباه واعتنى به ثم قرّبه لما وجد عنده علماً وحكمة وتدبيراً وأمانة وصار بيد النبي الكريم مقاليد أمور الولاية بعد وفاة عزيزها وجاء نفس أخوته الذين كادوا له معترفين بجريمتهم طالبين العفو والصفح فتعامل معهم بسمو الأخلاق.

هكذا يلطف الله تعالى بعباده وهكذا يصنع أولياءه ويدبّر شؤونهم، وهكذا يخيب كيد الباغين والحاسدين والمنافقين والكافرين ﴿وَلا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلا بِأَهْلِهِ﴾ (فاطر: ٤٣).

إن ما يمرّ بنا اليوم من بلاء وما مرّ بنا أيام صدام وغيره من الطواغيت لا يستحق أن يذكر في جنب ما أصاب أولياء الله الصالحين في الأمم السالفة حيث ورد في الروايات أنهم نشروا بالمناشير وقرضوا بالمقاريض وحفرت لهم أخاديد النار والقوا فيها فقضوا حرقاً (سورة البروج) والمتوقع من المتهالكين على السلطة وحب الدنيا أن يفعلوا ما هو أسوا لولا لطف الله تبارك وتعالى، فخير ما يسليكم ويطمئن قلوبكم وينوّر بصائركم ويثبت أقدامكم هو القران الكريم فاتخذوه قائداً وهادياً. وقد عشت مثل هذه التجربة مع القرآن ولا زلت أعيش لذة الأيام التي قضيتها في كنفه في ثمانينات القرن الماضي حينما كنت حبيساً في الدار لا ادري في أي لحظة يقبض عليَّ الطغاة ويعدمونني الحياة.

وإن[١] مما يخفّف الآلام والمصاعب ويدفعنا إلى بذل المزيد من الجهود هو أن نلتفت إلى النعمة التي منحنا الله تبارك وتعالى إياها في هذا الزمن حيث تتوفر أعظم فرصة لبناء المستقبل الزاهر لامتنا وننفض غبار السبات الذي أصابها منذ أكثر من ألف عام، ونمهّد لدولة الحق والعدل ببناء أنفسنا ومجتمعنا ومؤسساتنا على أسس الإخلاص والتقوى والعمل الصالح بعيداً عن المتصارعين على الدنيا الفانية الزائلة. لقد كان أصحاب الإمام الحسين (عليه السلام) يتسابقون إلى الموت فرحين مسرورين لان الإمام (عليه السلام) كشف لهم عن بصائرهم فرأوا منازلهم في الجنة أي رأوا نتائج تضحياتهم والمستقبل العظيم لما يقومون به فصغُر في أعينهم ما يلاقون من ألم الجراح وهذا التفسير منسجم مع ما نعتقده من تجسّم الأعمال.

وإذا كانت تلك التضحيات لإبقاء الحياة وجذوة الضمير في جسد الأمة فإن تضحيات اليوم ستؤدي إلى بعثها من جديد وحركتها نحو بناء دولة الحق والعدل.

---

(١) من هنا إلى نهاية الخطاب ورد في حديث سماحة الشيخ اليعقوبي (دام ظله) مع وفد جامعة الصدر الدينية فرع كربلاء في تلك الفترة.

ولله المثل الأعلى[١]

يُروى أن السيد رضي الدين ابن طاووس (قدس الله نفسه) ـ وهو من العلماء العارفين في القرن السابع الهجري ـ قال لولده يوماً (ماذا تريد أن تصير في المستقبل) فقال الولد الممتلئ فخراً وزهواً بأبيه الجامع للفضائل (أريد أن أصبح السيد ابن طاووس) فقال أبوه (إذن سوف لا تصير كذلك، لأنني في بداية حياتي عزمت على أن أصبح مثل الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) فأصبحت ابن طاووس فماذا ستكون إذا جعلت هدفك أن تكون ابن طاووس).

وهي حقيقة مجرّبة في أرض الواقع فإن الطالب الذي يجد ويجتهد في الدراسة حتى ينال مئة من مئة فإنه ربما يحصل على تسعين، فإذا تكاسل ولم يقرأ دروسه معوّلاً على الاكتفاء بستين أو خمسين فإنه قد لا يحصل على درجة النجاح.

وأنا اسمع كثيرين يتحدثون حينما يُسأل من هو مثلُك الأعلى الذي تطمح أن تصير مثله فإنه قد يسيء فيختار فناناً أو رياضياً أو سياسياً ممن لا قيمة لهم في عالم السمو والكمال، وهذا خارج عن حديثنا أصلاً، وقد يختار عالماً أو مصلحاً ويحاول السير على خطاه ليلحق به، وهذا شيء جيد، لكنه

---

(١) من حديث سماحة الشيخ اليعقوبي مع وفد من المثقفين والشباب الرساليين من ناحية قلعة سكر في محافظة ذي قار يوم ٦ رجب ١٤٢٩ المصادف ٢٠٠٨/٧/١٠.

إذا أراد الأكمل فعليه أن يجعل مثله وأسوته وقدوته النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وآله المعصومين (صلوات الله عليهم أجمعين) فيسعى بجد للسير على منهجهم والاهتداء بتعاليمهم والاقتداء بسنّتهم التي تحكيها الكتب والروايات، وحينئذٍ سيكون له شأن يذكر.

أما المعصومون (صلوات الله عليهم) فقد جعلوا الله تبارك وتعالى مثلاً أعلى - بالمصطلح - لهم فإن له الأسماء الحسنى والصفات الإلهية هي المثل الأعلى وأوصونا بذلك فقالوا (تخلقوا بأخلاق الله) وهذا هو الكمال الحقيقي ، فيتحرك الإنسان أولاً نحو التعرف على هذه الأسماء ودراسة مضامينها وآثارها العملية وكيفية الاتصاف بها، قال تعالى ﴿لِلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (النحل: ٦٠) وقال تعالى ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (الروم: ٢٧) والله ولي التوفيق وهو نعم المولى ونعم النصير.

كونوا كما السيد الخميني (قدس سره):

لقد كان السيد الخميني (قدس سره) أكثر من فقيه محقق كما لمسنا ذلك في كتبه المطبوعة التي نناقشها في البحث الخارج ككتابي الطهارة والبيع وبتعبير سيدنا الاستاذ الشهيد الصدر الثاني (قدس سره) عنه انه كان فكوراً في درسه.

فقد كان عاملاً بعلمه آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر خرج ليصلح حال أمته على خطى جدّه سيد الشهداء الإمام الحسين (عليه السلام)، وكان أيضاً مربياً أخلاقياً بسيرته و سيمائه قبل كلامه، ولطالما حثّ الحوزة العلمية على الإهتمام بتهذيب النفس وسلوك طريق الكمال الى جنب تحصيلهم العلمي، وكرّاسه المطبوع (الجهاد الأكبر) ـ الذي هو مجموع محاضرات أخلاقية القاها على طلبته في نهاية سنة دراسية ـ أحد الشواهد على ذلك حيث قال في افتتاحه: ان أحدكم يستطيع أن يعرف كم حصل عليه من العلوم خلال هذه السنة، لكن هل التفت إلى مقدار ما حاز من الكمال والرقي في تهذيب نفسه واكتساب الفضائل والملكات المحمودة ؟

ونظراً لأهمية هذه التوجيهات فقد خصصت درساً اسبوعياً لطلاب جامعة الصدر الدينية أعقب استشهاد السيد الصدر الثاني (قدس سره) اشرح لهم فيه هذا الكتاب ولم أكن استعمل النسخة المطبوعة لأن عيون جلاوزة الأمن تلاحقنا بل أقرأ في دفتر نُقل فيه نص الكتاب، فاقرأوا سيرة هذا الرجل الفذّ وتعلموا منه وسيروا على نهجه الشريف الذي عمّت بركاته دولة إيران وغيرها.

لن يستطيعوا هزيمة شبابنا بإذن الله تعالى

يتحدث الكثير من الشباب وطلبة الجامعات عن أجواء الفساد والانحراف خصوصاً في أروقة الجامعات، والخشية من التأثر بها، وأنا لا أريد أن أقلّل من حجم هذا الخطر وما يستدعيه من الحيطة والحذر والتسلّح بالتقوى والوعي والأخلاق الفاضلة، لكنني أعتقد أن المد الإسلامي المتدين قد نضج بمقدار معتد به في مقاومة واحتواء تأثير هذه الانحرافات الأخلاقية التي اكتسحت المجتمع منذ عشرات السنين وأدت إلى انحراف الأغلبية الساحقة من الشباب في ستينات وسبعينيات القرن الماضي، لكن التيار الديني استعاد التوازن والصمود واحتواء هذا الخطر رغم تزايد قوته وإمكانياته ودخول التقنيات الحديثة لترويجه.

في العام الماضي زارني أحد الأطباء الشباب وأخبرني أنه حصل على زمالة دراسية له ولزوجته للتخصص الدقيق في الطب في استراليا وانه يتخوف مستقبلاً من التأثر بأجواء الفساد هناك، فطمأنته وقلت له أن مثله يؤثر فيهم ويغيّرهم وليس العكس، وبعد التحاقه بالدراسة هناك راسلني وقال لقد صدقت فقد أثرنا بأخلاقنا وعفافنا وسلوكنا النظيف في الآخرين فأخذوا يتحلقون حولنا خصوصاً من النساء وهم من جنسيات مختلفة ليسألوا عن ديننا وكيفية حصول هذه الخصال الكريمة عندهما، والدكتور وزوجته يشرحان لهما عن الإسلام ومدرسة أهل البيت (عليهم السلام) ونوابهم من العلماء العاملين، فيصل التأثر عند بعضهم حد البكاء ويعجبون من عفاف المسلمين حيث يمتنع

الرجل حتى من مصافحة غير زوجته من الأجنبيات ولا النظر إليهنّ بريبة، ولا تبدي الزوجة زينتا لغير زوجها، وتكريم المتدينين لزوجاتهم.

إن تيارات الفساد والتشويه والتضليل الفكري والتشكيك في أصولنا ومبادئنا مستمرة ويوجد لها أبواق من داخل مجتمعنا حتى من بعض المعممين وليس فقط من العلمانيين، لكننا بفضل الله تبارك وتعالى وألطاف صاحب العصر (أرواحنا له الفداء)، و إقامة الشعائر الدينية بكثرة، واستمرارية وانتشار مجالس الوعظ والإرشاد والمدارس الدينية للقرآن الكريم والفقه والأخلاق وسيرة أهل البيت (عليهم السلام)، أصبح كثير من أبنائنا في حصانة من التأثر بها، وأروي لكم حادثة في المناسبة.

في نهاية خمسينيات القرن الماضي حيث كان ما عرف بالمد الشيوعي الأحمر قد اكتسح الساحة العراقية وغرّر بقطاعات واسعة من الشباب والمثقفين والكوادر التعليمية، كان جدي اليعقوبي الكبير (رحمه الله) يرتقي المنبر في مدينة الشطرة فقام بعض أذناب الشيوعيين الذين غاظهم احتشاد هذا العدد الكبير تحت المنبر الحسيني بإرسال كلب وسط المجلس لإرباكه وتشتيته وكان جدي هادئاً على المنبر فلما عاد الحشد إلى وضعه استحضر القصة التالية قائلاً: في عهد بعض الولاة العثمانيين السابقين كان الجيش يحمل المدفعية على ظهور الجمال في تحركاته، وكانت فيها ناقة خدمت طويلاً ثم عجزت فأحالوها على التقاعد وقرّر الوالي العثماني تكريمها بأن تترك بحريتها تفعل ما تشاء في أزقة وشوارع المدينة ولا يجوز لأحد التعرض لها ومنعها مما تريد، فكانت تقف عند هذا

البائع فتأكل خضاره وعند ذلك فتلتهم طعامه، حتى وقفت عند صاحب محل وأخذت تلتهم ما عنده بشراهة ولم يستطع منعها خوفاً من الوالي فأخذ صفيحة معدنية وراح يضرب عليها ويحدث صوتاً عالياً لإبعادها، فمرّ عليه شخص وسأله عن فعله فأجابه بأنه يحاول إبعادها عن طعامه بهذه الأصوات، فقال له: إن تعبك هذا بلا فائدة لأن هذه الناقة قد اعتادت ضرب المدافع من على ظهرها سنين طويلة وأنت تريد إخافتها بالضرب على الصفيحة!

وهنا قال جدي (رحمه الله) محل الشاهد وهو أنه على هؤلاء الأعداء أن ييأسوا من إخافتنا ومحاولات إبعادنا عن دين الله تعالى ورسوله (صلى الله عليه وآله) وولاية أهل البيت (عليهم السلام) فقد حاول كثيرون من قبلهم بكل بطش وقسوة في التاريخ الماضي كالأمويين والعباسيين والتاريخ الحديث كالاحتلال الإنكليزي وغيره فواجهناها بشجاعة وبسالة وقدّمنا التضحيات.

فيا أيها الأحبة إنكم بمواظبتكم على أداء شعائركم الدينية وصلواتكم المفروضة خصوصاً صلاة الجماعة والجمعة والتردد على المساجد وحضور المجالس الحسينية والتواصل مع العلماء والفضلاء ومطالعة الكتب النافعة سوف لا تؤثر فيكم هذه الأساليب المهزومة بإذن الله تعالى.

البنية التحتية للإنسان

روى الشيخ الصدوق (رحمه الله) في كتابه (من لا يحضره الفقيه) بسند صحيح عن أبي هاشم الجعفري[1] أنه قال: (أصابتني ضيقة شديدة فصرت إلى أبي الحسن علي بن محمد (عليه السلام) فاستأذنت عليه فأذن لي فلما جلستُ قال: يا أبا هاشم أيُّ نعم الله عليك تريدُ أن تؤديَّ شكرها؟ قال أبو هاشم: فوجمت فلم أدرِ ما أقولُ له، فابتدأني (عليه السلام) فقال: ان الله عز وجل رزقك الإيمان فحرّم به بدنك على النار، ورزقك العافية فأعانك على الطاعة، ورزقك القنوع فصانك عن التبذل، يا أبا هاشم إنما ابتدأتك بهذا لأني ظننت أنك تريدُ أن تشكو لي من فعل بك هذا، قد أمرتُ لك بمائة دينار فخذها) (من لا يحضره الفقيه/ ٧٩٦ ح ٥٨٦٣).

بدأت حديثي بهذه الرواية لأنني قرأت في عيونكم قلقاً على مستقبلكم من حيث صعوبة الحصول على وظيفة حكومية اليوم حيث أصبحت ملكاً للأحزاب المتسلطة، وقلقاً على مستقبل البلد حيث تحدّث الأخ في كلمته التعريفية عن إناطة مواقع المسؤولية بأُناس غير كفوئين ولا مخلصين لبلدهم وشعبهم بل إن كثيرين منهم مزورون لشهاداتهم وهمهم ملأ بطونهم وأرصدتهم من المال الحرام.

---

[1] وهو داود بن القاسم بن اسحاق بن عبد الله بن جعفر الطيار من أجلاء أصحاب الأئمة (عليهم السلام).

وهذا القلق مشروع ومستحسن على كلا الصعيدين أي إيجاد فرصة العمل المناسبة للكسب المشروع وتمكين الرجل المناسب من الموقع المناسب، فهذا سلمان الفارسي الذي قال فيه رسول الله (صلى الله عليه وآله): (سلمان منا أهل البيت) لما استغربوا منه ادخار بعض المواد لمؤونته في البيت وهو الزاهد في الدنيا، قال (إن النفس إذا أحرزت رزقها اطمأنت)، ولأن كل غيور على بلده وشفيق على اخوانه يحب لهم أن يكونوا سعداء بأفضل حال ويتمتعون بالحرية والكرامة والرفاه التي هي من حقوق كل إنسان.

أيها الأحبّة: رويت لكم هذا الحديث لأخفف عنكم هذا القلق ولألفت نظركم إلى وجود نعم هي أعظم من كل ما تفكرون به لكن الإنسان يغفل عنها لاعتياده عليها، فيكون تذكرها جزءاً من الحل لأنه يسلّي النفس وينعش الروح ويزرع الأمل بغدٍ أفضل ويرقي الطموح، ولنسدّ على إبليس والنفس الأمّارة بالسوء وشياطين الإنس منافذ إقناع الإنسان بسوء الظن بالله تعالى الرب الرحيم الكريم الحكيم العليم –وهذا ما توخّاه الإمام الهادي (عليه السلام) عندما ابتدأ أبا هاشم الجعفري بهذه الكلمات لأنه (عليه السلام) نظر إليه بعين الله تعالى وقرأ فيه القلق والتبرّم من الحال، والشكوى من تقدير الله تعالى بسبب الغفلة عمّا أنعم به من نعم عظيمة لا تُعدّ ولا تُحصى.

فيذكّر (عليه السلام) أن ربّك الذي تريد أن تشكوه أعطاك الإيمان بالله وما يتبعه من الإيمان برسوله وبولاية أهل البيت (عليهم السلام) المنجية من النار ومفتاح كل خير، وأعطاك الصحة والعافية التي بها قوام السعادة في الدنيا والآخرة، وأعطاك

الكرامة والتفضيل على سائر مخلوقاته (ولقد كرّمنا بني آدم) هذه النعم هي أصول كل النعم الأخرى ولا تهنأ حياة الانسان الا بها مهما تكاثرت النعم الأخرى، أي أن هذه الثلاث يصلح أن نسميها بمصطلح اليوم (البنية التحتية للإنسان)، وهي ما يستحق أن يفرح الانسان بحصوله عليها ويحزن إذا فقدها، نحن الآن في يوم الجمعة وبعد الظهر وهي ساعة مباركة، وفي سورة الجمعة يقول الله تبارك وتعالى بعد قوله (هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ) إلى أن قال تعالى ({ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ} (الجمعة/ ٢ ـ ٤) وقال تعالى (قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ) (يونس : ٥٨) فتزكية النفس وتطهير القلب والمعرفة بالله تعالى وتدبير شؤون الحياة بالحكمة هو الفضل الحقيقي من الله تعالى الذي يُفرح به.

وعلى هذه البنية التحتية ومن هذه الأصول تنطلق الأمور الأخرى فتتوفر عندك هذه المحبة للناس والسعي لإسعادهم، وهذا الإخلاص والجد والهمة العالية والنزاهة في العمل، وهذه الغيرة على البلد وشعبه، وهذا الإبداع وإيجاد كل ما هو أفضل، وهذا الطموح المشروع الذي لا يقف عند حد لأن الكمال لا متناهي.

وهذا الحديث الشريف يحمّلنا عدة مسؤوليات أمام هذه النعم التي سميناها بالبنية التحتية وهي:

١ ـ المحافظة عليها وتعزيزها وتنميتها وتعمقها في النفس والروح والعقل والجسد، وعدم الغفلة عنها والانشغال بأمور أخرى مهما تبدو مهمة فإنها ليست بأهمية هذه.

٢ ـ إنكم على أبواب التخرج وتحملون شهادات تؤهلكم لفرص عمل جيدة، و ستعرض عليكم مثل هذه الفرص إن عاجلاً أو آجلاً بإذن الله، فعليكم أن تختاروا من تلك الفرص ما لا يتنافى وهذه النعم مهما كانت العروض مغرية، فإنها صفقة خاسرة أن تُشترى دنيا زائلة فانية بدين قويم يوجب السعادة الأبدية، فراقبوا ربّكم وحاسبوا أنفسكم وكونوا أمناء على ما ائتمنكم عليه.

٣ ـ ان لا تكرّسوا كل اهتمامكم في تحصيل الوظيفة، فإن مؤسسات الدولة لا تستطيع أن تستوعب كل الشعب في الوظائف الحكومية فعليكم أن تعملوا عقولكم المبدعة لإيجاد منافذ للكسب المشروع في ما يسمى بالقطاع الخاص، وقد تناولنا أهمية هذا التوجه في أحد خطاباتنا السابقة.

حبِّبوا إلى أولادكم مطالعة الكتب

تحدثت في لقاء سابق مع مجموعة من الفتيان أمثالكم عن عنصر من عناصر التربية وهي مصاحبة أولياء الأمور والمعلمين والمربين الصالحين، انطلاقاً من قوله (ﷺ) (اصحبوهم سبعاً)، واليوم نتحدث عن عنصر آخر مؤثر في التربية الصالحة هي مطالعة الكتب المفيدة.

ولا نتوقع من الأحبّة الصبيان وهم في هذا العمر أن يكون لهم ولع بقراءة الكتب العلمية في أي حقل من حقول المعرفة وإنما تكون البداية مع الكتيبات والكراريس ذات الطابع القصصي التي تذكر فيها القصة لا لأجل التسلية والمتعة المجردة وقضاء الوقت كقصص المغامرات، وإنما لإيصال فكرة مفيدة أو الإقناع بالتحلي بخصلة كريمة، أو التنفير من سلوك مشين، أو تعلّم أمر نافع في الدين والدنيا، حتى إذا حصل الأنس بالكتاب والتمتع به وتوفرت لدى الصبي المؤهلات والرغبة الكافية أمكن الانتقال إلى تدريسهم كتباً مبسطة في الفقه والعقائد والأخلاق وسيرة أهل البيت (عليهم السلام).

وإنما جعلت البداية من القصص لأنها محببة للنفوس وجالبة للانتباه وتبقى راسخة في الذهن بكل تفاصيلها، وتحفظ معها محل الشاهد الذي نقلت من أجله، وكشاهد على الانجذاب للقصة، لاحظ المستمعين إلى خطيب فإنهم حالما يبدأ بالاستشهاد بقصة ينشدّون إليه ويستجمعون قواهم الذهنية أكثر مما لو كان الحديث في مطالب أخرى.

إن كتب التاريخ والسيرة تضم عدداً هائلاً من القصص والحكايات والروايات التي تؤدي الغرض المذكور، ولا نستطيع أن نكلف الفتيان بأخذها من مصادرها، ومن هنا تكون وظيفة ومسؤولية الفضلاء والمثقفين الوصول إليها في مصادرها وانتقاء ما يناسب ثقافة الصبي وفهمه وتقديمها له كغذاء جاهز مع إلفات نظره إلى ما يستخلصه من الدروس والعبر.

وقد قمنا ومعنا عدد من الأخوة العاملين –جزاهم الله خير جزاء المحسنين – عندما تصدينا للمسؤولية بعد استشهاد السيد الشهيد الصدر الثاني (قدس سره) عام ١٩٩٩ باصدار عدد من هذه الكراريس والكتيبات القصصية النافعة والمؤثرة، وقد ساهمت بدرجة ملحوظة في صناعة السلوك النظيف والوعي الرسالي لدى شريحة كبيرة ومنها مجموعة (آمنة ومؤمل، هدى والطواهر، دروس للصبي المسلم، دروس للفتى المسلم، شباب في مقبرة الجنس، حدث في الجامعة، زيارة مدرسة، حلم في مستشفى، حجاب في عتبة الباب، ...) ونحوها مما لم نذكره، ولا زالت حيويتها وتأثيرها.

وتحضرني الآن بعض القصص المفيدة من التاريخ أرويها باختصار.

١ – كان اسم مدينة القاهرة المصرية التي بناها الفاطميون (الفسطاط) في صدر الإسلام، وسبب التسمية على ما روي أن جيش المسلمين لما كان متوجهاً لفتح بلاد شمال افريقيا توقف في هذه المنطقة ونصب خيم استراحة وكانت الخيمة تسمى (فسطاط)،

وعندما عزم على الرحيل وجد حمامة قد أنشأت عشاً لصغارها على ظهر إحدى الخيم، ولئلا يزعجوا الحمامة تركوا الفسطاط في مكانه رحمة بها وبصغارها ورحلوا.

هذه القصة القصيرة تعلمنا آداب الاسلام في الرفق بالحيوان وعدم إيذائه بل الاحسان إليه، ومن باب أولى الاحسان إلى الانسان الآخر وعدم إيذائه، والتنبيه إلى حالات مذمومة في الاساءة إلى الحيوان كضربه أو تهديم أعشاش الطيور أو رميها وقتلها لا لشيء إلا العبث واللهو، وذكر الأحاديث الشريفة الواردة في النهي عن هذه الأفعال وما يقابلها من الخصال الكريمة.

٢ ـ كان مالك الاشتر (رضي الله عنه) قائداً ميدانياً لجيوش أمير المؤمنين (عليه السلام) ولكنه كان متواضعاً لا يتميز عن بقية الناس بلباسه أو موكب الحماية والمرافقين وغيرها من المظاهر الدنيوية، ومرّ به أحد الناس في شوارع الكوفة واستخفّ به وآذاه، ولم يردَّ عليه الأشتر، فقال له بعض الناس الذين عرفوه: ويلك هذا مالك الأشتر صاحب أمير المؤمنين (عليه السلام) وسيفعل بك ما يفعل، وصُعِق الرجل المعتدي لهذه الصدمة وراح يسأل عن مالك حتى يعتذر إليه، فقيل أنه دخل مسجد الكوفة فذهب إليه ووقع على يديه وقدميه يقبّلها معتذراً

فنهاه مالك عن هذا الفعل وقال له: اعلم انني ما دخلت المجسد الا لكي أصلي ركعتين واستغفر الله تعالى لك.

هكذا كان شيعة أمير المؤمنين (عليه السلام) وأصحابه في التواضع للناس والعفو والصفح عمّن أساء إليهم، وعدم الانجرار وراء الغضب والانفعالات النفسية.

٣ - دخل رجل فقير رث الحال على رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهو بين أصحابه فسلّم وجلس وكان بينهم رجل ثري فلملم ملابسه المترفة الأنيقة عن الفقير وتحاشى الجلوس إلى جنبه، فقال له النبي (صلى الله عليه وآله): هل خفت أن يذهب إليه غناك إذا جلس جنبك؟ قال: لا، قال (صلى الله عليه وآله): وهل خفت أن يصل إليك فقره؟ قال: لا: فلم يجد الثري مبرّر لتصرفه و اعترف بأنها من تسويلات الشيطان الذي يزيّن كل قبيح، ويحبّب كل معصية، ويكرّه الخير والطاعة، وكمبادرة منه لإرضاء الفقير وتأديب نفسه، قال للنبي (صلى الله عليه وآله) قد وهبت نصف أموالي له فعرضها النبي (صلى الله عليه وآله) على الفقير وقال هل تقبلها؟ فقال: لا فسأله عن السبب، فقال: أخشى أن يصيبني ما أصابه.

هذه دروس في عاقبة الاغترار بالنعمة والبطر والتكبّر، وتفاهة الدنيا بحيث يرفضها الفقير المعدم، ثم حسن الاعتراف بالخطأ والسعي لتصحيحه.

إن حديثي هذا عن تجربة صقلت شخصيتي منذ الطفولة حيث بدأ أنسي بالكتاب من خلال القصص الدينية المصوّرة للأطفال ثم التحقت بالدروس الدينية في العطلة الصيفية وصارت لي القدرة على مراجعة المصادر والتأليف وأنا لم أبلغ الحلم، واعتقد أن الوسائل المتاحة اليوم هي اضعاف ما كان متاحاً آنذاك بل لا مقايسة بينهما.

وقد اطّلعنا من خلال أسئلة الناس والاستماع إلى مشاكلهم الدينية أن السبب الرئيسي هو عدم المطالعة وعدم القراءة والتواصل مع مصادر العلم والمعرفة، فتجده مطالباً بقضاء سنوات من الصلاة لأنه لم يتعلم غسل الجنابة، أو يدفع مبالغ للكفارات لأنه يجهل عقوبة ترك الصيام، هذا غير الأخطاء الكثيرة والمؤلمة التي لسنا بصدد بيان تفاصيلها.

إن قراءة الكتب ليست (هواية) كما يعبّر البعض عند الحديث عن الهوايات، بل هي مسؤولية ووظيفة، قال تعالى مؤدباً نبيّه الكريم (وقل ربّ زدني علما) وفي حديث آخر مضمونه: إن كل يوم لم أزدد فيه علماً فليس من حياتي، وفي الحديث الآخر المروي في الخصال للشيخ الصدوق (ﷺ) (قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) لم يُعبد الله عز وجل بشيء أفضل من العقل، ولا يكون المؤمن عاقلاً

حتى يجتمع فيه عشر خصال –إلى أن قال(ﷺ) ـ لا يسأم من طلب العلم طول عمره).[1]

[1] الخصال: ٤٣٣.

الاجتهاد التحقيقي:

(الاجتهاد) فإنه يعرّف مشهورياً بملكة استنباط الحكم الشرعي من مداركه الأصلية، وهو بهذا المقدار وإن كان كافياً لتحقيق إبراء الذمة أمام الله تبارك وتعالى في مقام العمل، إلاّ انه لا يثري مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) ولا يعمّق هذا العلم الشريف ولا يستطيع تقديم الإسلام كمشروع حضاري قادر على قيادة الحياة بكل شؤونها وتفاصيلها ومواجهة المشاريع والنظم الأرضية، ما لم ينضم إليه الإبداع والأصالة، لذا سمعتُه (قد سره) يعرّف الاجتهاد (بالنابعية) أي القدرة الذاتية على التأصيل والتقنين، وليس الالتقاطية من آراء الأساطين وأفكارهم وانتقاء ما يطمئن إليه.

روى أحد المراجع المعاصرين (دام ظله) عن المحقق النائيني (قدس سره) أنّه سأل تلامذته يوماً عن الذي يحفظ كيان الحوزة العلمية، فأجابوا بأنّه الاجتهاد لكنه (قدس سره) صحّح لهم وأجاب بأنّه التحقيق، وتعرف من لحن كلامه (قدس سره) أنّه لم يكن يخاف من خلّو الساحة من المجتهدين، ولكنه يخشى عدم وجود محققين مبدعين فيهم، لأنّه (قدس سره) يدرك أكثر من غيره ان الذي يديم الحركة العلمية ويعمّقها هو التحقيق والإبداع والنابعية على تعبير السيد الصدر (قدس سره).

وهذا المعنى تبنّاه من قَبلُ السيد الشهيد الصدر الأول (قدس سره) فيُنقل عن أحد تلامذته المبرّزين أنّه استجازه في الاجتهاد فوعده بأنّه سيحصل على الملكة بعد

خمس سنوات من حضور البحث، وبعد انقضائها طلب السيد التلميذ تلك الشهادة، فقال (قدس سره) له إن هذه المدة كانت بلحاظ ملكة الاجتهاد على المستوى المتعارف، أمّا الاجتهاد بمستوى مدرسة الشهيد نفسه فإنّه يحتاج إلى مدة عشرين عاماً.

سعة كرم الله تعالى

تذكر الروايات الشريفة ثواباً جزيلاً يُعطى لمن قام بطاعة ما كصلاة معينة أو زيارة المعصومين (عليهم السلام) أو صوم أيام معيّنة كاعتبار صوم اليوم يعادل صوم الدهر أو كفارة ستين سنة ونحوها، وهذا يشكّل حافزاً للمؤمنين لكي يندفعوا للقيام بهذا العمل المستحب غير الواجب، وهذا تحرك مرضي لله تعالى ولرسوله (صلى الله عليه وآله) ما دام قد رضيه الله ورسوله ودعا إليه المعصومون (عليهم السلام)، وإن كانت النية الأكمل أن يقوم العبد بالفعل لأن الله تعالى يحبّه ويريده ولأن المعصومين (عليهم السلام) دعوا إليه بغضّ النظر عمّا رصد له من ثواب.

وعلى أي حال فإن سؤالاً هنا يجري تداوله قد يصل إلى مستوى الإشكال بأنه هل يُعقل إعطاء مثل هذا الثواب العظيم لعمل بسيط بالنسبة لذلك الثواب، ويدفع هذا الإشكال البعض إلى التشكيك في صحة هذه الروايات.

وهذا الاشكال مردود لأن العمل إذا حظي بالقبول والرضا من الله تبارك وتعالى فإنه لا حدود لعطائه ويزكيه وينميه حتى يكون مثل جبل أحد –كما في بعض الروايات - ويضرب الله تعالى لنا مثالاً لذلك قال تعالى ﴿مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّئَةُ حَبَّةٍ وَاللّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ البقرة٢٦١.

يُحكى أن النبي الكريم يوسف الصديق (عليه السلام) لما استتب له ملك مصر كان له مجلس عام للناس يقضي حوائجهم ويرفع عنهم ظلاماتهم، وفي احد الأيام

كان هناك شاب متواضع لا يُلتفت إليه وكان الروح الأمين جبرئيل إلى جانب النبي يوسف (عليه السلام) فسأله أتعرف هذا الشاب؟ قال (عليه السلام): ومن يكون؟ قال (عليه السلام) هذا الطفل الصغير الذي شهد ببرائتك عندما راودتك امرأة العزيز واستبقتما الباب وألفيتما العزيز لديها.

فاهتم به يوسف (عليه السلام) وأكرمه وخلع عليه الهدايا، وهنا تبسّم الروح الأمين وقال ليوسف: ان شهادة واحدة بالتنزيه والبراءة لك أوجبت هذا العطاء الكثير فكيف سيكرّم الله تعالى عباده الذين يشهدون له تبارك وتعالى يومياً عدة مرات بالتنزيه والبراءة من الشركاء ويسبّحونه.

أقول: لعلكم تتفقون معي ان يوسف الصديق (عليه السلام) مهما اعطى إلى هذا الشاب فإنه قليل بإزاء قيمة الشهادة التي أدلى بها ذلك الشاب عندما كان طفلاً حين انقذ يوسف (عليه السلام) مادياً من القتل ومعنوياً بتبرئته من الفاحشة والظلم وتنزيه ساحته. هذا ويوسف (عليه السلام) مهما كان ملكه عظيماً فهو مخلوق لا يملك لنفسه شيئاً، فكيف هو عطاء الله تبارك وتعالى الخالق العظيم مالك السماوات والأرض الجواد الكريم لعباده الذين يسبحون بحمده وله يسجدون.

وفي ضوء هذا نعرف فضل النبي (صلى الله عليه وآله) والأئمة المعصومين (عليهم السلام) لأنهم علّمونا ما نعبد الله تعالى به وما نسبحه به ونحمده، يكفي أن صلاة واحدة — وهي صلاة جعفر الطيار فيها ثلاثمائة تسبيحة: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر بالكيفية المعروفة —وأفضل أوقاتها ضحى يوم الجمعة ولا

تأخذ وقتاً أزيد من ثلاثة أرباع الساعة بالمعدل فالمفروض أن نشعر بالشكر والامتنان لرسول الله (ﷺ) كلما أدّينا هذه الصلاة لأنه (ﷺ) علمنا إياها وكذا بقية الاعمال.

وتصوّروا حينئذٍ ان هذا العطاء لمن أدى الشهادة لله تبارك وتعالى بلسانه أو بقلبه وحركة بدنه، فماذا يكون عطاء الله تبارك وتعالى لمن أدى الشهادة بروحه ودمه وهو الشهيد في سبيل الله تبارك وتعالى وإنّما سُمّي شهيداً، لأنه يشهد على مبادئه ومعتقداته التي آمن بها بدمه وروحه ونفسه التي هي أعز ما عنده (والجود بالنفس أقصى غاية الجود) حينما اكتفى غيره بالشهادة باللسان أو حركات البدن.

وسُمّي شهيداً لأنه يشهد على الأمة ويقيم الحجة عليها بتضحيته بنفسه في سبيل الله تبارك وتعالى، فلا نستغرب ما أعدّ الله تبارك وتعالى من الكرامة والدرجة الرفيعة للشهداء، وأعظم هذا العطاء الذي لا حدود له استحقه سيد الشهداء الإمام الحسين (عليه السلام) لأن عطاءه كان بلا حدود، وجسّد شهادته لله تبارك وتعالى بنفسه الشريفة وأولاده وإخوته وعشيرته وأصحابه وتعريض نسائه للسبي وهُنَّ ودائع النبوة.

ولعل هذا يفسّر لنا تشريع زيارات مخصوصة للإمام الحسين (عليه السلام) في كل أيام الله تبارك وتعالى كالأول والنصف من رجب والنصف من شعبان وليلة القدر ويوم عرفة والعيدين لان شهادته (عليه السلام) أعظم شهادة على المبادئ الحقّة.

ونحن اليوم في واحد من تلك الأيام المباركة وهو يوم عرفة وقد قضيتم زيارة أمير المؤمنين (عليه السلام) في النجف الاشرف وعدداً من الأعمال الصالحة وانتم متوجهون الى كربلاء المقدسة لزيارة الإمام الحسين (عليه السلام) المخصوصة ليوم عرفة والعيد فاشكروا الله تعالى على هذه النعم العظيمة وأكثروا من الدعاء لاخوانكم المؤمنين فإن الله تعالى تكفّل بالإجابة، ولتكن مطالبكم سامية تليق بكرم الله تعالى وشاملة لخصال الخير في الدنيا والآخرة كما ورد في بعض الأدعية (ربِّ أدخلني في كل خير أدخلت فيه محمداً وآل محمد (صلى الله عليه وعليهم أجمعين) وأخرجني من كل سوء أخرجت منه محمداً وآل محمد (صلى الله عليه وعليهم أجمعين) وما ورد في أدعية رجب (أعطني بمسألتي إياك جميع خير الدنيا وجميع خير الآخرة، واصرف عني بمسألتي إياك جميع شر الدنيا والآخرة فإنه غير منقوص ما أعطيت وزدني من فضلك يا كريم).

بادروا العمل وخافوا بغتة الأجل:

إن الجنة التي عرضها السماوات والأرض والتي فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ثمنها أن تستثمر هذه اللحظات وهذه الساعات، عن أمير المؤمنين (عليه السلام): (إن الليل والنهار يعملان فيك فاعمل فيهما، ويأخذان منك فخذ منهما) ويقول (عليه السلام): (إن المغبون من غبن عمره، وإن المغبوط من أنفد عمره في طاعة ربه).

فرأس مال الإنسان في هذه التجارة التي لن تبور: عمره ووقته وإضاعة أي جزء —ولو للحظة ـ بغير تحصيل الغرض المطلوب خسارة توجب الندامة؛ لأن اللحظة يمكن أن تكون فيها تسبيحة تغرس له بها شجرة في الجنة كما في بعض الأحاديث الشريفة، أو أي حسنة ترجّح كفّة حسناته يوم تنصب الموازين بالقسط.

عن أمير المؤمنين (عليه السلام): (احذروا ضياع الأعمار في ما لا يبقى لكم، ففائتها لا يعود).

تجد الكثير من الناس يحزن لضياع مال أو تلفه أو فوت فرصة فيها ربح وفير مع أنه يمكن أن يعوضه وأن فائدته هو ما يرتبط بحياته الزائلة، ولا يكترث لفوت شيء من عمره في غير طاعة الله تبارك وتعالى فيه، عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: (بادروا العمل وخافوا بغتة الأجل، فإنه لا يرجى من رجعة العمر ما

يرجى من رجعة الرزق) ومن وصايا النبي (ﷺ) لأبي ذر (رضي الله عنه): (يا أبا ذر كن على عمرك أشحَّ منك على درهمك ودينارك).

هذا إذا لم نفترض أن الكثير من الوقت يقضى في معصية الله تبارك وتعالى فتباً لها من صفقة خاسرة.

أذكر لكم باختصار حكاية لنأخذ منها العبرة رواها أحد الفضلاء الأساتذة عن أبيه وهو أحد مراجع الدين في كربلاء المقدسة عن شخص ثري تعرّض لسجن واضطهاد في بعض البلدان وكانت له أموال وتجارات فهاجر مع أهله إلى كربلاء قبل سبعين عاماً تقريباً وبسبب تلك الضغوط والآلام أصيب بلوثة في عقله فكان إذا أراد أن يسخّن الماء ليصنع قدحاً من الشاي يحرق الدنانير –كان كل دينار يعادل مثقالاً من الذهب يومئذٍ - في الموقد إلى أن ينضج الشاي، ثم يحتسي القدح فرحاً منتشياً ويقول هذا القدح من الشاي قيمته عشرة آلاف دينار.

ربما نسخر من هذا ونستقبح فعله ولا نعلم –وشر البلية ما يضحك - أننا أسوأ حالاً منه لأننا نحرق ساعاتنا وأيامنا ولياليا التي هي رأس المال في التجارة التي لن تبور مع الله تعالى ويمكن أن نحصل بها على الدرجات العليا في الجنان والنعم العظيمة ومصاحبة النبي وآله الكرام (صلوات الله عليهم أجمعين) نحرقها في ما لا قيمة له، بل أحياناً في ما يسخط الله تبارك وتعالى ويوجب عقابه والعياذ بالله.

لنكن مباركين معطائين:

إننا إذن أمام مسؤولية كبيرة وهي إدراك أهمية عمرنا وما يجب أن نستثمره فيه لنحصل على أرقى الدرجات وهذه حقيقة تكشف لنا واقعنا المؤلم لأن العمر يجري مع كل نفس ولا ينتظرنا، ويمر بسرعة قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ (الروم: ٥٥) وقال تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾ (النازعات: ٤٦) وفي قصص الأنبياء أن النبي نوح (عليه السلام) وهو الأطول عمراً شبّه عمره الطويل بانتقالته لحظة من الشمس إلى الظل.

وهذا ما يعلمنا إياه الإمام السجاد (عليه السلام) في فقرة من دعاء مكارم الأخلاق فيدعونا إلى أن نصرف أوقاتنا بما نحن مسؤولون عنه يوم القيامة ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ﴾ (الصافات: ٢٤) وأن نستفرغ أيامنا بالسير في الاتجاه الصحيح نحو الهدف.

ويعلمنا (عليه السلام) كيف يمكننا تحقيق ذلك مع كثرة الخطوط والمسارات وتعدد الخيارات وتداخل الاتجاهات والرؤى والبرامج فيقول (عليه السلام): (واكفني ما يشغلني الاهتمام به) فالطريق أن تصفي ذهنك وبرامج حياتك من كل شيء زائد عما يشغلك الاهتمام به عن السير نحو الغاية، وإلا سيضيع وسط هذه الفوضى ولا يصل إلى النتيجة المطلوبة، وفي غرر الحكم لأمير المؤمنين (عليه السلام) (اشتغال النفس بما لا يصحبها بعد الموت من أكبر الوهن).

لاحظوا الفرق بين ما نحن عليه، وما يريد الله تبارك وتعالى منّا، إننا نضيّع رأس مالنا بما يضرّ ولا ينفع، والله تعالى يريد لنا أن لا نقف عند حدود استثمار أعمارنا بل يدعونا إلى أن نكون مباركين معطائين حتى بعد وفاتنا فنحصل على عمر مديد من العطاء أو قل لنحصل على رأس مال إضافي كالشيخ الطوسي (قدس سره) الذي مر على وفاته ألف عام تقريباً وهو يزداد تألقاً وعطاءً، وكالشيخ الحر العاملي الذي مرّت على وفاته قرون ولا يستطيع فقيه أو عالم الاستغناء عن كتابه وسائل الشيعة، وهذا ما دعانا إليه الحديث النبوي الشريف (إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: إلا من صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له).

وفي الحديث الشريف المشهور (من سنّ سنّة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة) ومن هذا الباب تفضل الله تعالى بكتابة الحسنة لمن نواها ولم يوفَّق لفعلها، وكذلك ما ورد من أن من أحبّ عمل قومٍ أُشرك في أجورهم وحشر معهم.

كل ذلك من أجل مضاعفة الربح لهذه التجارة النفيسة مع الله تبارك وتعالى لمن استثمر عمره ووقته.

كونوا من الكنوز التي يكشف عنها الإمام المهدي (عليه السلام)

الخبايا المدخرة لعصر الظهور:

عن النبي ((صلى الله عليه وآله): (لا تقوم الساعة حتى يحسر الفرات عن جبل ذهب)[١]، وفي بعض الروايات (يوشك الفرات أن يحسر عن كنز من ذهب)[٢].

ومفاد هذه الروايات انه في عصر الظهور يكشف الفرات عن كنوز، والفرات كناية عن العراق لأنه النهر الأشهر كما يعبّر عن مصر ببلاد النيل ونحوه.

وقد فسّرتُ الكنوز بالأنصار الصالحين المخلصين للإمام (عليه السلام) لأن سياق الحديث واضح أن المراد بالكنوز شيء معنوي وليس مادياً[٣].

قصة الغلام مع نبي الله عيسى (عليه السلام):

---

(١) مجموعة ورام: ج١ ص٧٦.

(٢) البخاري، ج٩ ص٧٣، ومسلم ج ٨ ص١٧٥.

(٣) أنظر الغيبة الكبرى للسيد الشهيد محمد الصدر، في الأمر الثامن: أنه سوف يحسر الفرات عن كنز من ذهب: ص٤١١ وما بعدها.

ووجدت في الأخبار ما يؤيد ذلك ففي كتاب البحار (أن عيسى (عليه السلام) كان مع بعض الحواريين في بعض سياحته ، فمروا على بلد، فلما قربوا منه وجدوا كنزا على الطريق، فقال من معه: ائذن لنا يا روح الله أن نقيم ها هنا ونحوز هذا الكنز لئلا يضيع، فقال (عليه السلام) لهم: أقيموا ها هنا وأنا أدخل البلد ولي فيه كنز أطلبه، فلما دخل البلد و جال فيه رأى دارا خربة فدخلها فوجد فيها عجوزة، فقال لها: أنا ضيفك في هذه الليلة، وهل في هذه الدار أحد غيرك؟ قالت: نعم لي ابن مات أبوه وبقي يتيما في حجري، وهو يذهب إلى الصحارى ويجمع الشوك ويأتي البلد فيبيعها ويأتيني بثمنها نتعيش به، فهيأت لعيسى (عليه السلام) بيتاً، فلما جاء ولدها قالت له: بعث الله لنا في هذه الليلة ضيفا صالحا، يسطع من جبينه أنوار الزهد والصلاح، فاغتنم خدمته وصحبته، فدخل الابن على عيسى (عليه السلام) وخدمه وأكرمه فلما كان في بعض الليل سأل عيسى (عليه السلام) الغلام عن حاله ومعيشته وغيرها، فتفرس (عليه السلام)[1] فيه آثار العقل والفطانة والاستعداد للترقي على مدارج الكمال ، لكن وجد فيه أن قلبه مشغول بهم عظيم، فقال له: ياغلام أرى قلبك مشغولا بهم لا يبرح فأخبرني به لعله يكون عندي دواء دائك، فلما بالغ عيسى (عليه السلام) قال: نعم في قلبي هم وداء لا يقدر على

[1] الفراسة: التثبت والنظر والتأمل للشيء والبصر به، وتفرس في الشيء: توسّمه. (لسان العرب ١٠: ٢٢١).

دوائه أحد إلا الله تعالى، فقال: أخبرني به لعل الله يلهمني ما يزيله عنك، فقال الغلام: إني كنت يوما أحمل الشوك إلى البلد فمررت بقصر ابنة الملك فنظرت إلى القصر فوقع نظري عليها فدخل حبها شغاف[1] قلبي وهو يزداد كل يوم ولا أرى لذلك دواء إلا الموت، فقال عيسى (عليه السلام): إن كنت تريدها أنا أحتال لك حتى تتزوجها، فجاء الغلام إلى أمه وأخبرها بقوله ، فقالت أمه: يا ولدي إني لا أظن هذا الرجل يعد بشيء لا يمكنه الوفاء به، فاسمع له وأطعه في كل ما يقول، فلما أصبحوا قال عيسى (عليه السلام) للغلام: اذهب إلى باب الملك، فإذا أتى خواص الملك ووزراؤه ليدخلوا عليه قل لهم: أبلغوا الملك عني أني جئته خاطبا كريمته، ثم ائتني وأخبرني بما جرى بينك وبين الملك، فأتى الغلام باب الملك، فلما قال ذلك لخاصة الملك ضحكوا وتعجبوا من قوله ودخلوا على الملك وأخبروه بما قال الغلام مستهزئين به، فاستحضره الملك، فلما دخل على الملك وخطب ابنته قال الملك مستهزئا به: أنا لا أعطيك ابنتي إلا أن تأتيني من اللآلي واليواقيت والجواهر الكبار كذا وكذا، ووصف له ما لا يوجد في خزانة ملك من ملوك الدنيا، فقال الغلام: أنا أذهب وآتيك بجواب هذا الكلام، فرجع إلى عيسى (عليه السلام) فأخبره بما جرى، فذهب به عيسى (عليه السلام) إلى خربة كانت فيها أحجار

---

[1] غلاف القلب. (لسان العرب٧: ١٤٦).

ومدر كبار[1]، فدعا الله تعالى فصيرها كلها من جنس ما طلب الملك وأحسن منها، فقال: يا غلام خذ منها ما تريد واذهب به إلى الملك، فلما أتى الملك بها تحير الملك وأهل مجلسه في أمره، وقالوا لا يكفينا هذا، فرجع إلى عيسى (عليه السلام) فأخبره، فقال: اذهب إلى الخربة وخذ منها ما تريد واذهب بها إليهم، فلما رجع بأضعاف ما أتى به أولا زادت حيرتهم، وقال الملك: إن لهذا شأناً غريباً ، فخلا بالغلام واستخبره عن الحال، فأخبره بكل ما جرى بينه وبين عيسى (عليه السلام) وما كان من عشقه لابنته، فعلم الملك أن الضيف هو عيسى (عليه السلام)، فقال: قل لضيفك: يأتيني ويزوجك ابنتي، فحضر عيسى (عليه السلام) وزوجها منه، وبعث الملك ثيابا فاخرة إلى الغلام فألبسها إياه وجمع بينه وبين ابنته تلك الليلة، فلما أصبح طلب الغلام وكلمه فوجده عاقلا فهما ذكيا ولم يكن للملك ولد غير هذه الابنة فجعل الغلام ولي عهده فلما كانت الليلة الثانية مات الملك فجأة وأجلسوا الغلام على سرير الملك وأطاعوه وسلموا إليه خزائنه، فأتاه عيسى (عليه السلام) في اليوم الثالث ليودعه، فقال الغلام: أيها الحكيم إن لك علي حقوقاً لا أقوم بشكر واحد منها لو بقيت أبد الدهر، ولكن عرض في قلبي البارحة أمر لو لم تجبني عنه لا أنتفع بشيء مما حصلتها لي، فقال: وما هو؟ قال الغلام: إنك إذا قدرت على أن تنقلني من تلك الحالة الخسيسة إلى تلك الدرجة

---

[1] المدر: قطع الطين اليابس. (لسان العرب ١٣: ٥٣).

الرفيعة في يومين فلم لا تفعل هذا بنفسك، وأراك في تلك الثياب وفي هذه الحالة فلما أحفى[١] في السؤال قال له عيسى (عليه السلام): إن العالم بالله وبدار كرامته وثوابه والبصير بفناء الدنيا و خستها ودناءتها لا يرغب إلى هذا الملك الزائل وهذه الأمور الفانية، وإن لنا في قربه تعالى ومعرفته ومحبته لذات روحانية لا نعد تلك اللذات الفانية عندها شيئاً، فلما أخبره بعيوب الدنيا وآفاتها ونعيم الآخرة ودرجاتها قال له الغلام : فلي عليك حجة أخرى لم اخترت لنفسك ما هو أولى وأحرى وأوقعتني في هذه البلية الكبرى؟ فقال له عيسى: إنما اخترت لك ذلك لامتحنك في عقلك وذكائك، وليكون لك الثواب في ترك هذه الأمور الميسرة لك أكثر وأوفى، وتكون حجة على غيرك، فترك الغلام الملك، و لبس أثوابه البالية، وتبع عيسى (عليه السلام) فلما رجع عيسى إلى الحواريين قال: هذا كنزي الذي كنت أظنه في هذا البلد فوجدته . والحمد لله).[٢]

لنكن من هذه الكنوز:

أقول: حينما سرّدت هذه الرواية لا أريد منها تحبيب العزلة والترهب لأنها أمور مذمومة في الإسلام وإنما أريد أن نزيد همّتنا لنكون من هذه الكنوز التي ينتقيها الإمام ويصطفيها لنفسه ويجعلها من خاصّته، وهذا أمرٌ

---

[١] أحفاه في المسألة: ألح عليه في المسألة: (لسان العرب٣: ٢٥٠).

[٢] بحار الأنوار: ١٤/٢٨٠- ٢٨٢.

في متناول كل أحد، إذا صدق في إيمانه وبذل السعي المناسب للهدف وأدركته الألطاف الإلهية قال تعالى (وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُوراً) (الإسراء/ ١٩) كمن يريد أن يصبح طبيباً فإنه لابد أن يبذل السعي المناسب فيتفوق في دراسته الإعدادية ويحصل على معدلٍ عالٍ ثم يدرس في كلية الطب ويتابع بقية السعي حتى نهايته.

الطريق الموصل الى اللّه تعالى:

ولا نتصور أن السبيل الموصل إلى الله تعالى منحصر بالعبادات المتعارفة كالصلاة والصوم والحج والزيارة، بل يُفهم من الأحاديث الشريفة أنه يوجد ما يمكن أن يكون أسرع في طي مراحل التكامل، قال الإمام الحسن العسكري (عليه السلام): (ليست العبادة كثرة الصيام والصلاة وإنما العبادة كثرة التفكر في أمر الله)[1] فالعبادة أن تشعر وتحسّ بوجدانك أن الله تبارك وتعالى حاضر عندك مطّلع عليك أقرب إليك من حبل الوريد يحنو ويشفق عليك ويحبّك ويداريك ويدفع عنك، ولازم ذلك أن تفعل كل ما يحبّبك إليه ويقرّبك منه وأن تتعرف إليه تبارك وتعالى أكثر وأكثر وتفهم حقائق أسمائه الحسنى وتسعى لتحقيق تلك الصفات في حياتك كالرحمة والعفو والعلم والكرم وغيرها.

---

[1] تحف العقول: ٤٨٨.

قال رجل للصادق(عليه السلام): (يا ابن رسول الله دلني على الله ما هو؟ فقد أكثر علي المجادلون وحيروني، فقال له: يا عبد الله هل ركبت سفينة قط؟ قال: نعم، قال: فهل كسر بك حيث لا سفينة تنجيك، ولا سباحة تغنيك؟ قال: نعم، قال: فهل تعلق قلبك هنالك أن شيئاً من الأشياء قادر على أن يخلصك من ورطتك؟ قال: نعم، قال الصادق (عليه السلام): فذلك الشيء هو الله القادر على الانجاء حيث لا منجي، وعلي الإغاثة حيث لا مغيث)[1].

أقول: هذا التعلق بالله تبارك وتعالى واللجوء إليه يجب أن تستشعره دائماً وليس فقط في وقت الاضطرار، وهذه العلاقة الطيبة العامرة مع الله تبارك وتعالى هي حقيقة الدين لا الشكليات والمظاهر.

---

(1) البحار: ج٣ ص٤١.

معجزة النبي (ﷺ) في أخلاقه

روى لنا أمير المؤمنين (عليه السلام) معجزة تحققت لرسول الله (ﷺ) وكان شاهداً عليها، نذكرها تبركاً وإحياءاً لهذه المنقبة العظيمة ولنأخذ منها بعض الخصائص النفسية والسمو الأخلاقي عند رسول الله (ﷺ)، فمن خطبة جليلة لأمير المؤمنين(عليه السلام) تسمى القاصعة قال (ولَقد كُنتُ مَعَهُ صلى اللّه عليه و آله لَمّا أتاهُ المَلأُ مِن قُرَيشٍ، فَقالوا لَهُ: (يا مُحَمّدُ، إنّكَ قَدِ ادّعَيتَ عَظيما لَم يَدّعِهِ آباؤكَ، ولا أحَدٌ مِن بَيتِكَ، ونحنُ نَسأ لُكَ أمرا إن أنتَ أجَبتَنا إلَيهِ، وأرَيتَناهُ عَلِمنا أ نّكَ نَبِيٌّ ورسولٌ، وإن لَم تَفعَل عَلِمنا أ نّكَ ساحِرٌ كَذّابٌ). فَقالَ صلى اللّه عليه و آله: (وما تَسألونَ؟) قالوا: (تَدعو لَنا هذهِ الشّجَرَةَ حَتّى تَنقَلِعَ بِعُروقِها وتَقِفَ بَينَ يَدَيكَ)، فَقالَ صلى اللّه عليه و آله: (إنّ اللّهَ عَلى كُلِّ شَيءٍ قَديرٌ، فَإن فَعَلَ اللّهُ لَكُم ذلِكَ أتُؤمنونَ وتَشهَدونَ بِالحَقّ؟) قالوا: (نَعَم). قالَ: (فَإنّي سَأُريكُم ما تَطلُبونَ، وإنّي لَأعلَمُ أ نّكُم لا تَفيؤونَ إلى خَيرٍ، وإنّ فيكُم مَن يُطرَحُ فِي القَليبِ، ومَن يُحَزّبُ الأحزابَ) ثُمّ قالَ صلى اللّه عليه و آله: (يا أيّتُها الشّجَرَةُ إن كُنتِ تُؤمنينَ بِاللّهِ وَاليَومِ الآخِرِ، وتَعلَمينَ أنّي رَسولُ اللّهِ، فَانقَلِعي بِعُروقِكِ حَتّى تَقِفي بَينَ يَدَيّ بِإذنِ اللّهِ!).

فَوَالّذي بَعَثَهُ بِالحَقّ لَانقَلَعَت بِعُروقِها، وجاءَت ولَها دَويٌّ شَديدٌ، وقَصفٌ كَقَصفِ أجنِحَةِ الطَّيرِ، حَتّى وَقَفَت بَينَ يَدَي رَسولِ اللّهِ صلى اللّه عليه و آله مُرَفرِفَةً، وألقَت بِغُصنِها الأعلى عَلى رَسولِ اللّهِ صلى اللّه عليه و آله،

وبِبَعضِ أغصانِها عَلى مَنكِبي، وكنتُ عَن يَمينِهِ صلى اللّه عليه و آله. فَلَمّا نَظَرَ القَومُ إلى ذلِكَ قالوا عُلُوّا وَاستِكبارا: (فَمُرها فَليَأتِكَ نِصفُها ويَبقى نِصفُها)، فَأمَرَها بِذلِكَ، فَأقبَلَ إلَيهِ نِصفُها كَأعجَبِ إقبالٍ وأشَدِّهِ دَوِيّا، فَكادَت تَلتَفُّ بِرَسولِ اللّهِ صلى اللّه عليه و آله، فَقالوا كُفرا وعُتُوّا: (فَمُر هذا النِّصفَ فَليَرجِع إلى نِصفِهِ كَما كانَ، فَأمرَهُ صلى اللّه عليه و آله فَرَجَعَ، فَقُلتُ أنا: (لا إلهَ إلا اللّهُ، إنّي أوّلُ مُؤمنٍ بِكَ يا رَسولَ اللّهِ، وأوّلُ مَن أقرّ بِأنّ الشّجَرَةَ فَعَلَت ما فَعَلَت بِأمرِ اللّهِ تَعالى تَصديقا بِنُبُوّتِكَ، وإجلالا لِكَلِمَتِكَ)، فَقالَ القَومُ كُلُّهُم: (بَل ساحِرٌ كَذّابٌ، عَجيبُ السِّحرِ خَفيفٌ فيهِ، وهَل يُصَدِّقُكَ في أمرِكَ إلا مِثلُ هذا؟) (يَعنونَني))[1].

أقول: مما نستفيده منها باختصار: ـ

١ ـ أدبه (صلى الله عليه وآله) مع ربه تبارك وتعالى ومعرفته التامة بالله تعالى وأنه لا يملك شيئاً أمام ربّه وأنّه (لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم) فيقول للمشركين لما سألوه (فإن فعل الله لكم ذلك) ولم ينسب الفعل إلى نفسه فما من شيء يتحقق له إلا بلطف الله تعالى وفضله وكرمه، بعكس منطق الغافلين والبعيدين عن الله تعالى فإنّهم يرون لأنفسهم شيئاً ويتبجحون به ويتفاخرون ويطغون، كما حكى

[1] نهج البلاغة: ٤١٢/٢ الخطبة/ ١٩٠.

الله تعالى عن قارون قوله (قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي) (القصص / ٧٨)، ويأتي التعليق الإلهي (أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ القُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعاً وَلَا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ) (القصص / ٧٨).

والقرآن الكريم حرص كثيراً على ترسيخ هذه المعرفة قال تعالى (وَما رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللّهَ رَمَى) (الأنفال / ١٧) وقال تعالى في فرعون وقومه (فَأَخْرَجْنَاهُم مِّن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ❖وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ) (الشعراء / ٥٧ ـ٥٨) مع أن فرعون وجيوشه هم الذين قرروا الخروج لكن بتدبير إلهي.

٢ ـ عدم اليأس من هداية الناس والدعوة إلى الله تبارك وتعالى وإصلاح الأمة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والوعظ والإرشاد والتوجيه، حتى لو كان يعلم بعناد الآخر وإصراره على الخطأ فيقول (ﷺ) (وإني لأعلم أنكم لا تفيئون إلى خير) فلم يتوقف ويقول ما الفائدة من دعوة هؤلاء وهم لا يُرجى منهم خير؟ لأن الأمور والنتائج والعواقب بيد مدبّرها الحقيقي، وليس على الإنسان إلا السعي الحثيث بكل ما أتاه الله تعالى، وقد مدح الله تعالى قوماً وأنجاهم من العذاب لأنّهم لم يتقاعسوا عن أداء وظائفهم الإلهية مع اليأس ظاهراً من هدايتهم، قال تعالى (وَإِذَ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ

قَوْماً اللّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً قَالُواْ مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ) (الأعراف/ ١٦٤).

٣ ـ اعتماد لغة الحوار والحجة والبينة مع الآخر لتحصيل القناعة بالأمر وعدم إكراههم على شيء أو استخدام وسائل العنف والضغط لإجبارهم على اعتناق ما تعتقد به، ولو كنت تملك القوى الخارقة الغيبية، وهذا هو منطق القرآن الكريم (لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ) (البقرة/ ٢٥٦) (ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ) (الأحقاف/ ٤).

٤ ـ قساوة القوم الذين بُعث لهم رسول الله (ﷺ) وهمجيتهم بحيث يجري لهم كل هذه المعجزات وهم يصرّون على عنادهم واستكبارهم قال تعالى فيهم (ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ) (البقرة/ ٧٤) وقلوب أولئك كانت من القسوة بحيث لم تسمح بتفجير شيء من ينابيع المعرفة والإيمان فيها، فالجبل يتصدع من هذه الكلمات وهم موتى لا حراك فيهم (لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُّتَصَدِّعاً مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ) (الحشر/ ٢١) وإلى اليوم نرى

مثل هؤلاء الأقوام الذين تقام عليهم الحجج والبيّنات الدامغة، ولا جواب لهم إلا العناد والاستكبار والمضي على منهجهم المنحرف ومثل هؤلاء أتذكرهم عندما أصل إلى قوله تعالى (أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلاَمَ اللّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ) (البقرة/ ٧٥)

٥ ـ شفقة رسول الله (ﷺ) التي لا حدود لها وقلبه الكبير بحيث لا يتوانى عن تقديم أي عمل ما دام يُرجى منه صلاح الآخرين وهدايتهم رحمةً بهم لانقاذهم مما هم فيه من الضلال حتى لو كانوا من أسوأ خلق الله تعالى وأقساهم فلم يكن (ﷺ) كأسلافه الصالحين من الأنبياء الذين دعوا على أقوامهم بالهلاك (لا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّاراً) (نوح/ ٢٦) وغاية ما كان يقول (ﷺ) عندما يصيبوه بالأذى والتكذيب (اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون) ولم يثنه (ﷺ) عن المضي معهم استهزاؤهم وسخريتهم الواضحة من مطلبهم التعجيزي وكأنهم يتهكمون برسول الله (ﷺ) ويسفّهون دعوته.

إن وجود مثل هذا القلب الشفيق الرحيم خير حافز على العمل الإنساني النبيل، وهو موجود لدى الكثيرين ولكنه يحتاج إلى تحريك وإثارة والدليل على ذلك انه عندما يوجد انسان مبتلى أو مصاب بنكبة أو عاهة أو معدم يحتاج إلى مساعدة فإن الكثيرين تهتز قلوبهم بالشفقة والرحمة ويهبون لنجدته ومساعدته، وهذا عمل عظيم ولكن أليس أهم منه أن نهَّب لهداية الضّال وفاقد البصيرة والمنحرف والجاهل وهؤلاء أولى بالمساعدة والشفقة والرحمة، لأن حياتهم الباقية الدائمة في خطر، وهي أهم من حياتهم الدنيا.

والدرس الأخير نأخذه من أمير المؤمنين (عليه السلام) بروايته لهذه المنقبة النبوية الشريفة، ولعلها كانت تضيع علينا لو لم ينقلها لنا أمير المؤمنين (عليه السلام)، فلنتعلم منه أن لا نبخل على الناس بما نتعلمه من مسألة شرعية أو موعظة أو نصيحة أو منقبة وفضيلة لأهل البيت (عليهم السلام) أو شيء من سيرتهم الصالحة وأخلاقهم السامية، أو كلمات العلماء ومواقفهم ومآثرهم وبذلك تنتشر الهداية ويزكو العلم والعمل الصالح وينمو ففي الحديث (العلم يزكو بالإنفاق).

إن الكثير من الوقائع والحوادث تشهد على نتيجة مفادها أنّ من ينساق وراء رغباته بدون تعقل وحكمة وحساب للعواقب يخسر ويسقط في النهاية كبعض الطامحين بالشهرة الذين يقومون بمغامرات الصعود إلى هملايا أو مصارعة الحيوانات الهائجة أو قيادة السيارات بجنون، أو القفز من ارتفاع شاهق ونحوها فيُقتلون دونها، وكالكثير من المصابين بجنون العظمة الذي يريدون أن يتسيدوا على الناس ويتسلطوا فيهلكون الحرث والنسل ويهلكون أنفسهم من أجل هذه النزوات الحمقاء.

ما الذي دفع بأولئك المتمردين على رسول الله (ﷺ) حتى منعوه من كتابة وصيته في رزية يوم الخميس ثم انقلبوا على أعقابهم بعد وفاة رسول الله (ﷺ) وفتحوا باب الفتنة والشقاق والخلاف والتقاتل إلى قيام يوم الساعة فحملوا على ظهورهم كل هذه الأوزار: انه الانسياق وراء الرغبات المذلّة المهينة رغم مخالفتها لشريعة الله تبارك وتعالى.

وإذا أردتُ أن أذكر مثالاً على هذا الحديث الشريف فهم بعض المبتلين بالعادة المشهورة التي تحولّت إلى ظاهرة تسعى كل الدول إلى تحجيمها والتحذير منها وهي التدخين، يروي بعض أفاضل الخطباء والكتّاب انه في موسم من مواسم الحج المباركة حدّثه أحد المؤمنين الذين كانوا قد عانوا آلام السجون ومحنة التعذيب، أن مؤمناً كان ثابتاً على موقفه، وواجه جلاّديه بشجاعة نادرة أذهلت الجميع، ولما تعب أحد الجلاّدين من تعذيب هذا المؤمن، راح يترجم حنقه على هذا المعذب بشرب سيكارة، وإذا بالمعذَّب ينهار لرؤية الدخان،

فناداه متوسلاً، سيدي ناولني سيكارة!! فدهش الجلّاد وقال: على أن تتكلم بما تعرف! فقال: أجل وما هي إلا لحظات حتى اعترف ذلك الرجل على خمسين مؤمناً جاء بهم إلى ساحات التعذيب وأثكل عوائلهم وسبب الألم واليتم لأطفالهم.

التذبذب في المواقف علامة الانحراف

لا شكّ أن الحديث عن فضل العلم وطلبه، وفضل العلماء ودرجاتهم لا ينقضي، والأقلام التي تكتب عنه لا تجف ولن تجف إن شاء الله تعالى، لكنّ الحديث عن العلم وحده لا يكفي، لأنّ العلم وحده لا يكفي، ولابد أن ينظم إليه الحديث عن العمل بهذا العلم، وإلاّ فإنّ الكثير ممن ضلوا وانحرفوا واضلّوا لم تكن مشكلتهم في نقص العلم، بالعكس فقد كان لديهم علم كثير، وما استطاعوا أن يخلقوا فتنة في المجتمع، ويضلّوا أمة كثيرة من الناس إلاّ من جهة أنّ عندهم علماً فاستطاعوا التأثير في الناس، وبدون ذلك العلم لم يكن أحدٌ يعبأ بهم.

فالعلم قد يكون وبالاً على صاحبه، والأحاديث في ذلك كثيرة حتى جعلت أشد الناس حسرة يوم القيامة شخصاً حمل علماً ونقله إلى الآخرين فاستفادوا منه، لكنّه هو لم ينتفع منه ولم يعمل به.

وقد ذكرنا مثالاً على ذلك وهو علي بن أبي حمزة البطائني الذي تزعّم انشقاقاً على الإمام الرضا (عليه السلام)، وكان عنده علمٌ كثير ورواياته تملأ الكتب وشبّهه الإمام الكاظم (عليه السلام) هو وأصحابه بالحمير ليذّكره بالآية الشريفة (مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) (الجمعة / ٥).

والعمل بالعلم له ميادين (أولها) النفس فيصلحها ويهذبها ويكاملها (ثمّ) المجتمع فينقل ما تعلمه وعمل به إلى الآخرين ليساعدهم على الصلاح والهداية فإنّ زكاة العلم إنفاقه وبذله للآخرين، والعلم يزكو وينمو ويباركُ فيه بالإنفاق.

ومع وضوح هذه المقدّمة، إلاّ إننا نشهد اليوم أمثلة كثيرة على عدم العمل بالعلم وعدم تحويله إلى واقع نعيشه ونتمثله في حياتنا، في أوساط من يسمَونَ بالمتدينين فضلاً عن غيرهم، والمورد الذي أريد أن أذكره محاولة البعض منهم أن يخوض في الدنيا ويغمض في طلبها مع زعمه المحافظة على دينه وآخرته، وهو أعجز من تحقيق ذلك لأن الآخرة والدنيا بهذا الشكل ضرّتان لا تجتمعان كما ورد في الأحاديث الشريفة، وكان يمكنه أن يجعل الدنيا مزرعة للآخرة، فإنّ الكمالات والجنان لا تنال إلاّ بهذه الدُنيا.

فتوجد فئة من الناس تحاول أن تنال الدنيا التي فتحت أبواب كثيرة لها اليوم من الامتيازات والمصالح من خلال العمل مع جهة ما، لها نفوذها وتسلطها ومواقعها ومناصبها، مع الاعتراف بأنها لا توصل للآخرة بل تصد عنها، ويقول إنني ما زلت أرجع في الأمور الدينية إلى الجهة الفلانية التي يعتقد أنها مبرئة للذمة أمام الله تعالى، وكأنّه لا تنافي بين الأمرين، وأنّه يمكن أن يكون مع جهة في دينه، ومع جهة أخرى في دنياه، وهو بذلك يخدع نفسه (يُخَادِعُونَ اللّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ) (النساء/ ١٤٢) فهم ممن وصفهم الله تعالى (مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ

ذَلِكَ لاَ إِلَى هَـؤُلاء وَلاَ إِلَى هَـؤُلاء وَمَن يُضْلِلِ اللّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً) (النساء/ ١٤٣).

فمثل هذا الشخص يسقط ولا يستطيع المقاومة حتى النهاية، فإذا أراد الخير لنفسه فليحزم أمره وليتخذ موقفاً حاسماً بأن يجعل الله تعالى نصب عينيه ويختار ما فيه سلامة دينه ويتّبع الجهة التي تبرأ ذمته وتوصله إلى الفلاح فيما يحب ويكره، فيأتمر بأمرها وينتهي بنهيها ويعمل ضمن إطارها.

وأمامنا مثالان من كربلاء وهُما يعبّران عن حالة التنازع هذه والنتيجة التي انتهوا إليها.

أحدهما: عمر بن سعد فقد حاول أن يتجنّب قتال الحسين (عليه السلام) ويبتعد عن هذه الجريمة العظمى بالتوجه إلى إحدى الولايات، لكنّه بقي محباً للدنيا مع ابن زياد وله طمعٌ في نيل ولاية الري وجرجان، حتى وصل إلى مفترق الطريق عندما كلّفه ابن زياد بقيادة الجيش الذي خرج لقتال الحسين (عليه السلام)، وبات تلك الليلة في حيرة وترددٍ شديدين كما يظهر من أبياته الشعرية التي قالها:

أأترك ملك الري والري مُنيتي أم ارجع مأثوماً بقتل حسينِ

وخرج إلى كربلاء على رأس الجيش ولكنّه ظلّ يتأمل أن يأخذ الدنيا بيد من دون أن يخسر الآخرة باليد الأخرى وبقي أياماً في كربلاء يجتمع مع الحسين (عليه السلام) في خيمة نصبت لهما ويتبادلان الأحاديث، والإمام (عليه

السلام) يبذل المحاولات لإقناعه بالعدول عن هذا الخسران المبين، حتى جاء الشمر بكتابٍ من ابن زياد يأمره بمناجزة الحسين (عليه السلام) الحرب أو ترك قيادة الجيش للشمر، وهنا سقط ابن سعد واختار الدنيا فخسر آخرته ودنياه ولم يستطع الجمع بينهما.

ثانيهما: الحرّ الرياحي الذي كان قائداً في الجيش الأموي وخرج على رأس ألف فارس لاعتراض الإمام (عليه السلام) في الطريق بعد دخوله العراق والمجيء به إلى الكوفة، وحاول أيضاً أن يحتفظ بموقعه وامتيازاته من دون أن يتورّط في دم الحسين (عليه السلام)، فنفّذ أوامر قيادته بمنع الحسين (عليه السلام) من الرجوع إلى الحجاز، إلاّ أنّه طلب منه (عليه السلام) أن يذهب باتجاه لا يمر بالكوفة فاختار (عليه السلام) طريق كربلاء وظلّ الحر يسايره، وهو يتمنى العافية والسلامة وأن لا تنتهي الأمور إلى القتال ويبقى محتفظاً بامتيازاته، إلاّ أنه في النهاية وصل إلى ساعة الحسم يوم عاشوراء حينما وقع القتال، فعاش صراعاً قاسياً ومريراً جعله يرتعد ويرتجف بدرجة استغربها من حوله وظنوا أنّه جبنٌ من المواجهة فقال له أحدهم: لو قيل من أشجع أهل الكوفة لما عدوناكَ فما هذا الخوف؟ قال: ويلك إنّي أخيّر نفسي بين الجنة والنار ولا أختار على الجنة شيئاً، وأدركه اللطف الإلهي واستنقذه من النار ونقله إلى حيث السعادة الأبدية ولم يستطع أي أحد غيره أن يتخذ نفس الموقف لشدته وصعوبته.

ولو كان كل من هذين النموذجين قد ترك طلب الدنيا وتخلّى عن زينتها الزائفة ليضمن آخرته من أول الأمر لما وقع في هذا المأزق الكبير الذي لا ينجح فيها إلاّ من عصم الله تعالى، وهنا تبرز الفئة الثالثة التي حسمت أمرها من البداية واتبعت الحق ولم تؤثر عليه شيئاً كعلي بن الحسين الأكبر (صلوات الله عليهما) الذي يجيب أباه لما علم منه أنّهم سائرون إلى الموت قال: أو لسنا على الحق، إذن لا نبالي أوقعنا على الموت أم وقع الموت علينا.

فمثل هذا الفريق نجح من أول الأمر ولا يعاني ولا يجد صعوبة ولا تردداً ويمضي قدماً.

فعلينا –أيّها الأحبة ـ أن نحذر أنفسنا ثم الآخرين من الإقدام على ما يوجب زلل الأقدام ويقرّب من حافة الهاوية مغترين بالقدرة على النجاة في ساحة الحسم والامتحان فإنّها مجازفة غير مأمونة العواقب حينما نضع رجلاً هنا ورجلاً هناك، والدنيا مليئة بالامتحانات والفتن.

وهذا ما حاوله من قبل أبو هريرة فينقل أنّه كان يصلّي مع علي (عليه السلام) ويأكل من موائد معاوية فإذا وقعت المعركة انحاز إلى الجبل، فقيل له في ذلك قال: الصلاة مع علي أتم والأكل مع معاوية أدسم والجبل أسلم، وحاول بحسب زعمه أن يحصل على الآخرة مع علي (عليه السلام) وعلى الدنيا مع معاوية، لكن هذا غير ممكن وما كان لمعاوية أن يدعه يتمتع بدنياه بلا ثمن.

وعلينا أن نستفيد من علمنا لأنفسنا وللآخرين ونحسم أمرنا باتباع الحق وسوف يجمع الله تعالى لنا الدنيا والآخرة بفضله وكرمه.

اعملوا للّه تعالى:

في غرر الحكم عن أمير المؤمنين (عليه السلام) (عجبتُ لمن ينشد ضالته، وقد أضلَّ نفسه فلا يطلبها).

ولرحمة الله تعالى الواسعة بعباده فإنه لم يكتفِ بالواعظ الخارجي وهم الأنبياء والأئمة (صلوات الله عليهم أجمعين) وحملة علومهم، فجعل لهم واعظاً من داخل أنفسهم ينبِّههم إلى الخطأ وهو ما يعرف بـ(الضمير) يحذره من الخطأ قبل وقوعه، ويؤنبه بعد ارتكابه لردعه عن تكراره، بحيث انتشر مصطلح (وخز الضمير) أو (تأنيب الضمير) وهي عبارة عن حالة تألم ورفض داخل النفس تؤدي إلى كربة في القلب، تدعو صاحبها لمراجعة نفسه والعودة إلى رشده.

ولكن الإنسان لسوء اختياره يصمّ أذنه عن سماع الواعظ الخارجي ويكبت واعظه الداخلي، اما بمخادعة نفسه وقلب الحقائق ليوهم نفسه إنه ليس على خطأ، وربما يحاول الهروب من صراعه الداخلي من خلال احتساء الخمر وتناول المخدرات، أو بالتكثير من ارتكاب الأخطاء ليعتاد عليها ويميت ضميره.

كثير من الناس يتصور أنه يخدع الآخرين ولكنه في الحقيقة يخدع نفسه، مثلاً شابٌ ينشئ علاقة غير شريفة مع فتاة فيتبجح أمام زملائه بذلك وكأنّه حقق

انتصاراً واستدرج هذه الفتاة، ولا يعلم انها هي التي استدرجته وخدعه الشيطان بها لأنها سلبت منه دينه وخسر نفسه.

يروى أن أحد الوعّاظ في بلد مقدس يقصده الزوار من دول العالم جمع التجار والكسبة في السوق وقال لهم إنني أحذركم من هؤلاء الزوار أن يخدعوكم، قالوا: كيف ذلك وهم غرباء لا يعلمون شيئاً ونحن نخدعهم ونبيع إليهم الأشياء بأضعاف سعرها، قال لهم: هذا ما عنيته بكلامي فلا يخدعونكم ويورطونكم في المعصية.

رعاية الإبداع:

((في قصص الأنبياء أن نبي الله ادريس (عليه السلام) أول من خط بالقلم، وأول من خاط الثياب ولبسها وكانوا يلبسون الجلود، وكان كلما خاط سبّح الله وهلّله وكبّره ووحده ومجدّه، وسُمِّيَ ادريس لكثرة درسه الكتب))[١] وهو (عليه السلام) من اقدم الأنبياء عاش في الفترة ما بين آدم ونوح (عليهما السلام)، وهكذا فإن أصول العلوم تعود إلى الأنبياء والأئمة (عليهم السلام) مباشرة، أو إلى الإلهامات الإلهية.

وقد سجّل القرآن الكريم هذا الاهتمام بالقلم والكتابة، وأقسم بهما، قال تعالى (ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ) (القلم/ ١) أما الآيات الكريمة في فضل العلم والعلماء والحث على طلب العلم وذم الجهل وما يقود إليه ونحوها من المعاني فقد قيل أنها بلغت خمسمائة آية.

لذا فنحن نفرح ونفخر بكل إنجاز علمي يحققه أبناؤنا ونعتبره إنجازاً للأمة كلها، ومن ذلك حصول هذا العدد الكبير منكم على درجات الإعفاء من الامتحانات النهائية في الدراسة الإعدادية في مدرسة واحدة مما يكشف عن نبوغ علمي وذهنية مبدعة رغم الصعوبات التي تكتنف حياتكم والتي يمرُّ بها البلد ككل وأوّلها الانقطاع المستمر للتيار الكهربائي بحيث يلتجئ الطلبة إلى الشوارع والساحات العامة ليطالعوا كتبهم على أضويتها.

---

(١) سفينة البحار: ٣٨/٣ بحار الأنوار: ٢٧٩/١١.

ورغم عدم الاهتمام بالكفاءات العلمية الواعدة وتوقف دور الرعاية العلمية عن عملها، إلا إننا رأينا في المعرض الذي أقيم الأسبوع الماضي في بغداد للإنجازات العلمية للشباب أكثر من ألف وخمسمائة معروض لشباب وشابات في الجامعات والمرحلة الإعدادية حملت اكتشافات وتطويرات للأجهزة والمعدات بشكل ملفت للنظر وكان كل ذلك بامكانيات ذاتية ربما استدان بعضهم مالاً ليحقق حمله في إنجاز علمي مفيد للمجتمع من دون أن يتوقع مكافأة أو مساعدة من الجهات المسؤولة، بل يحصل ما هو أغرب من ذلك حين اعتقلت القوات الأمنية في محافظة المثنى شاباً نجح في صنع طائرة صغيرة طارت امتاراً وهو يعمل مصلحاً للمولدات الكهربائي الصغيرة وكان منذ الصغر يحلم أن يكون طياراً مدنياً أو عسكرياً، لكن ظروفه المعيشية الصعبة حالت دون إكماله الدراسة فاتجه إلى الكسب، وظل هذا الحلم يراوده حتى صنع من أدوات محله هذه الطيارة واستدان مبلغاً مقداره مليون وربع مليون دينار (ألف دولار) ليتم عمله، وفوجئ باعتقاله واحتجاز طيارته لأنه لم يأخذ رخصة من القوات الأمنية، فكان هذا جزاءه بدل التكريم والرعاية وتوفير ورشة عمل تتضمن كل مستلزمات تطوير امكانياته.

كيف نكون من المقرّبين

إن أهل الجنة ليسوا على نمط واحد من النعيم يوم القيامة وإن كانت الآيات الكريمة تقسّمهم إلى (فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ) (الشورى / ٧)، وفي سورة الواقعة إلى (المقرّبين وأصحاب اليمين وأصحاب الشمال) وإنما تتفاوت منازلهم يومئذ على أنماط ومراتب لا حصر لها ، وهذا كله فرع تفاوتهم في كيفية استثمار فرصة وجودهم في الحياة الدنيا (وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا) (الإسراء / ٢١)

وقد وردت الاحاديث الشريفة في مراتب الأسلام و الأيمان و الورع و التقوى مما يعطي رؤية عن التفاوت الواسع في درجات الناس في الدنيا .

و المؤمن الطامح للكمال يرنو ببصره إلى أعلى تلك الدرجات ويسعى إليها ، وهو متيسّر لكل أحد بكرم الله تعالى وفضله ، وقد وصل الى تلك الدرجات ناس ليسوا من المعصومين (عليهم السلام) حتى يقال إننا لا نصل إلى درجتهم (صلوت الله عليهم) ، وكان وصولهم بأسباب ووسائل متعددة ، فبعضهم بموقف جهادي والشهادة في سبيل الله تعالى كأنصار الحسين (عليه السلام)

قد جاوروه هاهنا بقبورهم وقصورهم يوم الجزا متدانية

وبعضهم بعلوا الهّمة وحسن الظّن بالله تعالى كعجوز بني إسرائيل التي روى النبي (صلى الله عليه وآله) قصتها مع كليم الله موسى (على نبينا وعليه الصلاة و السلام)

وقال لها أطلبي ما تشائين فأني أرجو ان يحقق الله تعالى لك، فقالت أريد ان أكون معك في درجتك في الجنة، فأثنى النبي (صلى الله عليه وآله) على علو همتها .

وبعضهم بالمعرفة الكاملة باهل البيت (عليهم السلام) وولايتهم كسلمان الفارسي الذي ورد فيه الحديث النبوي الشريف (ان الجنة لأعشق لسلمان من سلمان للجنة)[١]

وعن عبد العزيز القراطيسي قال : (دخلت على أبي عبد الله (عليه السلام) فذكرت له شيئا من أمر الشيعة ومن أقاويلهم، فقال: يا عبد العزيز الأيمان عشر درجات بمنزلة السلم له عشر مراقي وترتقى منه مرقاة بعد مرقاة، فلا يقولنَّ صاحب الواحدة لصاحب الثانية لست على شئ ، و لا يقولنَّ صاحب الثانية لصاحب الثالثة لست على شئ حتى انتهى إلى العاشرة قال: وكان سلمان في العاشرة، وأبو ذر في التاسعة، والمقداد في الثامنة يا عبد العزيز لا تسقط من هو دونك فيسقطك من هو فوقك، إذا رأيت الذي هو دونك فقدرت أن ترفعه إلى درجتك رفعا رفيقا فافعل، ولا تحملنَّ عليه ما لا يطيقه فتكسره فإنه من كسر مؤمنا فعليه جبره، لإنك إذا ذهبت تحمل الفصيل حمل البازل فسخته)[٢].

---

[١] بحار الأنوار : ٢٢/ ٣٤١

[٢] الخصال للصدوق باب العشرة ج٢ ص ٤٤٨، الفصيل: ولد الناقة إذا فُطِم من اللبن وانفصل عن أمّه، والبازل إذا بلغ ٨-٩ سنوات من العمر.

ومنهم من يصل تلك الدرجات السامية بكفالة الأيتام فاقدي الأبوين او الأيتام المعنويين وهم الناس المقطوعون عن إمام زمانهم فيأخذ بأيديهم ويرشدهم ، وورد في ذلك الحديث النبوي الشريف (انا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة اذا اتقى) وأشار بالوسطى و التي تليها ، فقد خصصنا خطابا لبيان هذا المعنى في إحدى الزيارات الفاطمية [١].

وانتم – يا طلبة العلوم الدينية – ممن هيأ الله تعالى لهم هذا السبيل للأرتقاء إلى درجات المقربين ، وفي ذلك يقول الأمام الحسن العسكري (عليه السلام) (حدثني أبي عن آبائه عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) انه قال : اشدُّ من يتم اليتيم الذي انقطع عن أبيه يتم يتيم انقطع عن إمامه ولا يقدر على الوصول اليه ولا يدري كيف حكمه فيما يُبتلى به من شرائع دينه ، ألا فمن كان من شيعتنا عالما بعلومنا وهذا الجاهل في شريعتنا المنقطع عن مشاهدتنا يتيم في حجره ، ألا فمن هداه وارشده وعلمّه شريعتنا كان معنا في الرفيق الأعلى)[٢].

وكلما ذكرنا مثل هذه المعاني استغربنا كيف لا يلتحق كل الناس بالحوزات العلمية الدينية لينالوا هذه المرتبة العظيمة .

واذكر لكم أحد المباركين الذين نالوا هذه الدرجة، ولم يكن من سادات بني هاشم ولا من علية القوم ولا من الأسر المعروفة ، انه بُكير بن اعين ، وكان

---

[١] خطاب المرحلة : ٢٢٨/٦

[٢] بحار الأنوار: ٢/ ٢-٦ الباب ٨ من كتاب العقل و الجهل الاحاديث ١-١١

أبوه عبداً رومياً لرجل من بني شيبان تعلم القران ثم اعتقه فكان من موالي بني شيبان ولم يلتحق بنسبهم وكان جده راهبا في بلد الروم، وأنجب اعين أولاد فقهاء أفذاذ وهم زرارة وبكير وعبد الملك وحمران، ورووا عن الإمام السجاد و الباقر و الصادق (صلوات الله عليهم أجمعين)، لما بلغ خبر موت بكير الإمام الصادق (عليه السلام) قال (أما والله لقد أنزله الله بين رسول الله وأمير المؤمنين (صلوات الله عليهما) [1].

فهذا قدوة وأسوة لكم وفقه الله تعالى لمسلك أهل العلم فتحّمل علوم أهل البيت (عليهم السلام) ونشرها بين الناس بحسب استطاعته، اذ لم تكن الفرصة متاحة لقسوة الأمويين و العباسيين وبطشهم بكل من يتشيع لعلي واله (صلوات الله عليهم أجمعين) ، فثبت هذا الفقيه الكبير وواصل نشر علوم اهل البيت (عليهم السلام) وكان لهم الفضل الكبير على كل أجيال المسلمين إلى قيام يوم الساعة بما حفظوا ونقلوا من احاديث اهل البيت (عليهم السلام) ولولاهم لضاعت تلك الأحاديث.

لقد بذل العلماء وحملة الاحاديث الكثير من الجهود و تحمّلوا أذى كثيرا على هذا الطريق ولكنهم ثبتوا و واصلوا، طلب هارون العباسي من محمد بن أبي عمير – وهو من الرواة الأجلاء الثقات الذين قبل الأصحاب رواياتهم وان لم يسندها – ان يلي القضاء فرفض فراراً بدينه، فحبسه وعذبوه في السجن ليدل

---

[1] معجم رجال الحديث: ٣٥٣/٣

على مواضع الشيعة وأصحاب الإمام موسى بن جعفر(عليه السلام) فلم يخضع، حتى بلغ منه الألم مبلغا عظيما فكاد ان يقرّ فسمع محمد بن يونس بن عبد الرحمن وهو يقول : اتق الله يا محمد ابن أبي عمير، فصبر ففرّج الله تعالى [1].

ونحن اليوم وإن زال عنّا بلاء السجن والاعتقال والإعدام بالقضاء على المجرم المقبور، إلاّ أن ألواناً من البلاء تحفُّ بنا قد تكون أشد من ذلك.

وانتم فاشكروا الله تعالى على توفيقه لكم لحمل هذه الرسالة (ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ) (عبس / ٢٠) واثبتوا (اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) (آل عمران / ٢٠٠) (قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ) (يونس / ٥٨).

---

[1] معجم رجال الحديث : ٢٩٦/١٤

من أراد الآخرة فليسعَ لها سعيها

مما يوجب حذر المؤمن في هذه الحياة الدنيا ويجعله في توجّس ويدفعه إلى مزيد من الاعتصام بالله تعالى، هو أن لا يختم له بخير، وإن كان عمله بحسب الظاهر صالحاً الآن إلاّ أنه لا تعرف خاتمته والأمور بخواتيمها، روي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قوله ((لا يزال المؤمن خائفاً من سوء العاقبة لا يتيقن الوصول إلى رضوان الله حتى يكون وقت نزع روحه وظهور ملك الموت له))(١).

وقد ينجح الإنسان في امتحانات عديدة لكنه يسقط في أحدها سقوطاً نهائياً والعياذ بالله، عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) (أن العبد ليعمل عمل أهل الجنة فيما يرى الناس وإنه لمن أهل النار، وإنه ليعمل عمل أهل النار فيما يرى الناس وإنه لمن أهل الجنة وإنما الأعمال بالخواتيم)(٢) وعنه (صلى الله عليه وآله سلم): (الأمور بتمامها والأعمال بخواتيمها).

وهذه الحقيقة لها شواهد قرآنية تاريخية كثيرة، ولنذكر مثالاً (حوزوياً) وهو أحمد بن هلال العبرتائي من كبار العلماء والرواة فقد قال عنه الشيخ الطوسي ((روى أكثر أصول أصحابنا)) ناهز التسعين من العمر (١٨٠ ـ ٢٦٧)، حجّ (٥٤) حجة، عشرون منها ماشياً على قدميه، قال عنه الكشي ((وقد كان

---

(١) بحار الأنوار: ٣٦٦/٧١ ح١٣.

(٢) كنز العمال ح ٩٥٠.

رواة أصحابنا بالعراق لقوه، وكتبوا منه)) وقال العلامة (قد) أنه سمع منه ((جل أصحاب الحديث واعتمدوه فيها)).

وكان من أصحاب الإمامين الهادي والعسكري (عليهما السلام) إلاّ أنّه مرّ بامتحان بعد استشهاد الإمام العسكري (عليه السلام) ففشل فيه وغلبه هواه وحسده وحبّه للرئاسة والزعامة فورد التحذير أولاً من الإمام المهدي (عليه السلام) من الانخداع بظاهره فقد كتب الإمام (عليه السلام) إلى نوابه (قوّامه) بالعراق في ابتداء أمره (احذروا الصوفي المتصنّع) ثم جاء لعنه من الإمام المهدي (عليه السلام)، فقد ورد في كتاب الغيبة في ذكر المذمومين الذين ادّعوا البابية ((قال أبو علي بن همام: كان أحمد بن هلال من أصحاب أبي محمد(عليه السلام)، فأجمعت الشيعة على وكالة محمد بن عثمان (رضي الله عنه) بنص الحسن (عليه السلام) في حياته، ولما مضى الحسن (عليه السلام)، قالت الشيعة الجماعة له: ألا تقبل أمر أبي جعفر محمد بن عثمان، وترجع إليه، وقد نصّ عليه الإمام المفترض الطاعة؟ فقال لهم لم أسمعه ينصّ عليه بالوكالة، وليس أنكر أباه، يعني عثمان بن سعيد، فأمّا أن أقطع أنّ أبا جعفر وكيل صاحب الزمان فلا أجسر عليه، فقالوا: قد سمعهُ غيرك، فقال: أنتم وما سمعتم، ووقف على أبي جعفر، فلعنوه وتبرئوا منه، ثم ظهر التوقيع على يد أبي القاسم حسين بن روح، بلعنه، وبالبراءة منه في جملة من لُعن)).

ولم يتحمل كثير من الأصحاب هذا الخبر في حق ابن هلال لما ذكرنا من منزلته عندهم وأنكروا ما ورد في مذمّته ((فحملوا القاسم بن العلاء على أن يُراجع

في أمره فخرج إليه توقيع طويل جاء فيه (ونحن نبرأ إلى الله تعالى من ابن هلال لا رحمه الله وممن لا يبرأ منه، فأعلم الإسحاقي وأهل بلده مما أعلمناك من حال هذا الفاجر، وجميع من كان سألك ويسألك عنه)(١).

فهذا وأمثاله كثير ممن كان له ظاهر تمتد إليه الأعناق، لكن قدمه زلّت ولم يتب ولم يصلح خطأه وأصرّ عليه فكان من الملعونين لذا ورد في الحديث النبوي الشريف (لا عليكم أن تُعجبوا بأحدٍ حتى تنظروا بما يُختمُ له، فإنّ العاملَ يعمل زماناً من عمره أو بُرهة من دهره بعملٍ صالحٍ لو مات عليه دخل الجنة، ثمّ يتحوّل فيعمل عملاً سيئاً)(٢) وعنه (صلى الله عليه وآله وسلم): (إنّ الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل أهل الجنة، ثمّ يختم له بعمل أهل النار)(٣).

ولأهميّة حسن الخاتمة فقد أشير إليها كثيراً في الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة، وتكرّر طلبها في الأدعية المباركة، وأجاب القرآن الكريم باختصار عن كيفية ضمان الفوز بحسن الخاتمة في قوله تعالى (تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ)

---

(١) هذه النصوص نقلها من مصادرها: السيد الخوئي (قدس سره) في معجم رجال الحديث: ٣٦٧/٢- ٣٧٠.

(٢) – (٢) منتخب ميزان الحكمة: ٢٠٦ عن كنز العمّال: ٥٤٥، ٥٨٩.

(القصص / ٨٣) وبتفصيل أكثر قال تعالى (وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُوراً) (الإسراء / ١٩).

فالفوز بالآخرة يتطلب بحسب الآية الشريفة.

أولاً: إرادة جديّة وقصد حقيقي لنيل رضوان الله تبارك وتعالى وليس مجرد لقلقة لسان كما وصفهم الإمام الحسين (عليه السلام) (الناس عبيد الدُنيا، والدين لعقٌ على ألسنتهم يحيطونه ما درّت معائشهم، فإذا مُحصّوا بالبلاء قلّ الديانون)، وأن تكون إرادته مبنية على قصد الوصول إلى الهدف الحقيقي وهو رضا الله تبارك وتعالى وليس طاعة لغيره أو لأي هدفٍ آخر سواه.

ثانياً: السعي الجاد الدؤوب بما يصلح الآخرة ويضمن الفوز فيها، فقوله تعالى (وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا) يتضمن عدة خصائص لهذا السعي منها كونه حثيثاً ودؤوباً فقد قيل في معنى السعي أنّه ((المشي السريع ويستعمل للجد في الأمر))، ((وأكثر ما يُستعمل السعي في الأفعال المحمودة)) ولتأكيد ذلك فقد أضافت الآية السعي إلى الآخرة أي أن يكون السعي مناسباً للآخرة بكل ما يعني ذلك، لتختصر كل ما تطلبه الآخرة من نوع السعي ومقداره وخصوصياته، قال السيّد صاحب الميزان ((والمعنى وسعى وجدّ للآخرة السعي الذي يختص بها ويُستفاد منه أنّ سعيه لها يجب أن يكون سعياً يليق بها ويحقّ لها كأن يكون يبذل كمال الجهدِ في حسن العملِ وأخذه من عقلِ قطعي أو حجة شرعية))(١).

---

(١) الميزان في تفسير القرآن: ٦٥/١٣.

ثالثاً: أن يقترن ذلك بالإيمان بالله تعالى وبرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لأنّه شرط القبول ونيل الجزاء لأنّ باب الله الذي لا يُؤتى إلاّ منه (وَأْتُواْ الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا) (البقرة/ ١٨٩) وأن يتعزز الإيمان بالمعرفة بالله تعالى وإخلاص النية له سبحانه، وهذا الإيمان والمعرفة لابد أن تكون لها حقيقة، فيعتقد أن هذا كله لطفٌ من الله تعالى وأنّه لا يستقل بشيء عن ربّه، وأن يكون خائفاً مشفقاً إذا نظر إلى العمل من زاويته الشخصية، فإذا قُبل عمله بفضل الله ورحمته وهذا ما أكدته الآية اللاحقة (كُلاًّ نُّمِدُّ هَـؤُلاء وَهَـؤُلاء مِنْ عَطَاء رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاء رَبِّكَ مَحْظُوراً) (الإسراء/ ٢٠) ونحو ذلك من المعاني.

وقد بيّنت الروايات الشريفة بعض مظاهر هذه المعرفة وهذه الأعمال الصالحة: عن أمير المؤمنين (عليه السلام) إذا أردت أن يؤمنك الله سوء العاقبة فاعلم أن ما تأتيه من خير فبفضل الله وتوفيقه، وما تأتيه من سوء فبإمهال الله وإنظاره إياك وحلمه وعفوه عنك).(١) ومن كلام الإمام الصادق (عليه السلام) لبعض الناس (إن أردت أن يُختم بخير عملك حتّى تُقبض وأنت في أفضل الأعمال فعظّم لله حقّه أن تبذل نعمائه في معاصيه، وأن تغتر بحلمه عنك، وأكرم كلّ من وجدته يذكر منّا أو ينتحل مودّتنا).(٢) عن الإمام الكاظم (عليه السلام): (إنّ خواتيم أعمالكم قضاء حوائج اخوانكم

---

(١) بحار الأنوار: ٣٩٢/٧٠ ح ٦٠.

(٢) عيون أخبار الرضا (عليه السلام): ٤/٢ ح٨.

والإحسان إليهم ما قدرتم وإلاّ لم يُقبل منكم عمل، حنّوا على اخوانكم وارحموهم تُلحقوا بنا)(١).

فمثل هؤلاء يكون سعيهم مشكوراً، وقد أطلق لفظ الشكر ليكون لا حدود له لأنّ صفات الله تبارك وتعالى لا حدود لها، ومن أسمائه الشكور.

وشدّدت الآية على أن الجزاء لا يتخلف عن السعي بل يكون نتيجة حتمية له، بعكس من يطلبون الدُنيا الذين ذكرته الآية السابقة على هذه، قال تعالى (مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاء لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُوماً مَّدْحُوراً) (الإسراء/ ١٨) فلا يتحقق له ما يريد بل ما يريده الله تبارك وتعالى، وليس لكل أحدٍ بل لمن يشاء الله تعالى أن يعطيه.

وبهذا المعنى الذي شرحناه لسعي الآخرة لابد أن نفهم معنى انتظار الإمام صاحب الأمر (عليه السلام) والدعاء بقيام دولته المباركة، فلابد أن يقترن بالسعي الخاص به والمناسب له، فتقيّد أحاديث ثواب الانتظار والمنتظرين بأن يُسعى له سعيه.

وهكذا كل قضية في حياتنا يُراد تحقيقها فلابد أن يسعى لها سعيها المناسب لها كمن يريد أن يصبح طبيباً أو مهندساً فلابد أن يبذل الجهد المطلوب كماً ونوعاً ويسير وفق الآليات التي توصله إلى هدفه، ولا ينال كل ذلك إلاّ بلطف الله تعالى وتوفيقه ومدده.

---

(١) بحار الأنوار، ٣٧٩/٧٥.

الابتعاد عن المكروهات واتيان المستحبات:

عندما نمارس وضيفتنا في الهداية والإصلاح وتبليغ الأحكام ندعو للقيام بفعل ما ونحثّ عليه ونشرح ثواب العمل والآثار المباركة له في الدنيا والآخرة، فيُقال لنا: قل لنا هل هو واجب لا يجوز تركه حتى نفعله، وكأنّنا ليس علينا أن نؤدي إلاّ ما كان واجباً جزماً لا رخصة في تركه، أما المستحبات –وبعضها مؤكدة ـ أو الأمور التي يؤتى بها على نحو الاحتياط الاستحبابي فلا نشعر بالمسؤولية اتجاه القيام بها.

وهكذا عندما ننهى عن فعل معيّن ونبيّن الآثار السيئة على النفس والمجتمع عامة، فيقال لنا: قُل لنا هل هو حرام جزماً حتى نجتنبه، وإلاّ فلا مانع من فعله، وطبعاً ليست كل الأفعال المنهي عنها جزمية الحرمة، فبعضها شبهات، وبعضها يوجد احتياط بتركها، وبعضها ليست حراما لكنّها يمكن أن تكون باباً يؤدي إلى الحرام، فكأنّ هذه كلها مما يمكن اقتحامه ولا يجب اجتنابه.

إنّ منهج عدم فعل شيء إلاّ إذا كان واجباً جزماً، وعدم ترك شيء إلا إذا كان حراماً جزماً، منهج غير منتج ولا يوصل إلى الفلاح، ومن يسير وفق هذا المنهج فإنّه يسقط في الهاوية وتزلّ قدمه.

والمثال الواضح لذلك هو شق الطرق فإنه يوضع إلى جانب الطريق كتف ترابي يسمى حمى الطريق ليشعر قائد السيارة بالاطمئنان والثبات ولتحقيق الأمان للسيارة عندما تزل إطاراتها عن الشارع المعبّد بسبب غفلة السائق أو لتعرضه لموقف مفاجئ، ويتأكد الأمر لدى المهندس حينما يصمّم طريقاً في

منطقة جبلية وعرة، وإلى جانبها وادٍ سحيق، فإن هذا الكتف يكون ضرورياً، ولو وضع حد الشارع على حافة الوادي فإن السقوط فيه سيكون وارداً جداً خصوصاً عندما تضايقه سيارة قادمة أو تأخذه سِنة او غفلة، بل ان قائد السيارة يكون مرتبكاً وقلقاً وغير متزن إذا لم يوجد هذا الحمى إلى جانب الطريق ويؤدي به ارتباكه إلى السقوط في المحذور، وهذا جانب نفسي لا يمكن انكاره.

وهذا هو حال من يزعم أنه يسير وفق الأحكام الإلزامية فقط من واجبات ومحرمات ولا يعزّزها بفعل المستحبات وترك الشبهات والمكروهات بمقدار ما يستطيع وبمقدار ما يوفّقه الله تعالى إليه.

وقد وُصفت الشبهات بنفس لفظ الحمى في الأحاديث الشريفة.

عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) (دع ما يريبك إلى ما لا يريبك، فمن رعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه.

حُكي أن عالماً سأل أحد علماء السلف الصالح أنه لماذا ندعو فلا يستجاب لنا، بينما كان دعاء السلف الصالح مستجاباً، قال في جوابه: لأننا كنّا نقسّم أحكام الأشياء على قسمين فقط: ما نلتزم بفعله وهي الواجبات والمستحبات، وما نلتزم بتركه وهي المحرمات والمكروهات، أما أنتم فقسمتموها إلى خمسة أقسام: واجب ومستحب ومباح ومكروه وحرام ولم

تلزموا أنفسكم إلاّ بفعل الأول وترك الأخير فسبّب لكم هذه القسوة والابتعاد عن الله تعالى.

صحيح أن الواجبات أهم من المستحبات بدليل جعلها واجبات أي أن المصلحة في الفعل الواجب ملزمة –كما يعبّرون ـ وتفيد بعض الروايات أنها أكثر ثواباً عند الله تعالى من المستحبات، لكنّنا بصدد الحديث عمّا هو أكثر إنتاجاً وإيصالاً في طريق التكامل، والمستفاد من بعض الروايات أن النوافل هي الأكثر فاعلية، ويساعد عليه الوجدان، لأن الإنسان يؤدي الفرائض بدافع الخوف من العقوبة إذا تركها غالباً باعتبارها واجبة، أما المتسحبات فيؤديها رغبة في ثواب الله تعالى والتقرب إليه والفوز بمحبته ورضاه، وهذه النية الثانية موجبة أكثر من الأولى للتقرب من الله تبارك وتعالى.

وأذكر شاهداً على هذا التأثير للنوافل وهي حكاية رواها أحدهم عن المرحوم السيد علي القاضي صاحب المدرسة الأخلاقية المعروفة قال فيها أنه أيام إقامته في النجف الأشرف كان هناك شاب منحرف يشرب الخمر وتارك للصلاة، لكنه كان يحب السيد القاضي كثيراً ويساعده إذا رآه ويحمل عنه حاجاته إلى داره، وكان السيد ينصحه بأن يتوب إلى ربّه ويلتزم بالصلاة ويترك الخمر، لكنه لم يأخذ بالنصيحة وبعد سنين قال له السيد إنني طلبت منك طلباً منذ سنين ولم تستجب لي، فقال الشاب: لا أقدر على الالتزام، فقال السيد له: إذن أطلب منك أن تفعل في ليلة واحدة بأن تقوم في منتصف الليل والناس نيام فتتوضأ وتصلي صلاة الليل، فقال الشاب أن نومي عميق

ولا أستطيع الاستيقاظ في منتصف الليل، قال السيد، لا بأس أنا أضمن لك استيقاظك وواعدني بفعل ما طلبت، فوعده بذلك ولما انتصف الليل استيقظ الشاب فجأة وجاء إلى حوض الماء ليتوضأ وفكّر وتدبّر وتأمّل طويلاً وراجع نفسه واستحيا من خالقه فأدركته الألطاف الإلهية، وهنا خاطب ربّه بكلمة اشتهرت لاحقاً (يا رب إني وإن تأخرت في الوصول إلا إنني أرجو أن لا أفارقك) ومن ذلك اليوم استقام في سيرته وأصبح من مشاهير الصالحين في النجف.

على المرجعيات الدينية والقيادات السياسية أن تتنازل لمن هو أكفأ

من الصفات الرئيسية التي أكد الأئمة المعصومون (عليهم السلام) على توفّرها في من يسوس أمر الأمة ويتولى القيادة والإدارة في أي موقع كان خصوصاً الفقهاء والأمراء، أي المرجعية الدينية والسلطة الحاكمة: أن يكون (مخالفاً لهواه مطيعاً لأمر مولاه) كما في الحديث المروي عن الإمام العسكري (عليه السلام).

ومن أعلى موارد اختبار وجود هذه الصفة وأشدّها: تنازله عن الموقع إلى غيره ممن يراه أكفأ منه وأقدر على القيام بوظائف هذا الموقع، أما لتفوّق هذا البديل، أو لعجزه هو عن مواكبة التحديات وتحمّل المسؤوليات التي تتوسّع وتتعقّد بمرور الزمن، ومثل هذه الخطوة تحتاج إلى قوة قلب للتغلب على هوى النفس التي تصرّ على التمسّك بموقع النفوذ والجاه والسلطة والحصول على مزيد من الامتيازات.

وقد عشنا تجربة مرجعية السيد الشهيد الصدر الثاني (قده) ورأينا فيه هذه الصفة فكان يخالف هوى نفسه ويؤدي ما يراه حجة بينه وبين ربّه وما فيه رضا الله تبارك وتعالى، كتصديه لصلاة الجمعة المباركة ووقوفه بين الجماهير المؤمنة وما يكلّفه ذلك من عنت وشقّة ومواجهة للسلطة وجهد مضاعف يضاف إلى مسؤوليته العلمية والعملية الكثيرة، لكنّه نهض بهذه المسؤولية كغيرها ولم يستسلم لما تهواه النفس من حياة الدعة والراحة.

وكانت عنده هذه الصفة بأعلى مستوياتها بحيث نعلم أنّه لو امتدّ به العمر ورأى بديلاً أفضل منه –كما كان يصرّح بأنه يسعى لإيجاده وتربيته ـ فإنه يتنازل له بكل رحابة صدر، وكان يربي طلاّبه ومريديه على ذلك.

كنّا معه (قده) مرّة وتذاكرنا أموراً من هذا القبيل وربّما ذكرنا كيف أنّ السيد الشهيد الصدر الأول (قده) كان يخالف هواه ويقهر نفسه حينما قرّر أن يطبع كتابيه (فلسفتنا) و (اقتصادنا) باسم جماعة العلماء ونحوه ولا يذكر انّه هو المؤلف، لأنّ هدفه إعلاء كلمة الله تعالى ورفعة الإسلام، فأكبر السيّد (قده) هذا الموقف، وسأل متحدياً: من يستطيع أن يقوم بمثل هذا؟ فقلتُ: أنّه فعل لا يحتاج إلى كثير مؤونة معتبراً ذلك أمراً طبيعياً عند المخلصين لله تعالى، فقال السيد (قده) باللهجة الدارجة: ((نعم أنت تسويها)) أي أنّه يُتوقّع منك القيام بمثل هذا الصنع.

بل قد وقع مني فعلاً مثل ذلك حينما طبع السيد الشهيد الصدر (قده) كتاب ما وراء الفقه طلب منّي أن يجعل كتابي (الرياضيات والفقه) في المجلد الثامن لمناسبته لكتاب الميراث، فقلت له: ((سيدنا آنه بخدمتك، وليكن من فصول الكتاب ولا حاجة لذكر اسم كاتبه))، لكنّه (قده) أصرّ على أن يكتب اسم المؤلف رعاية للأمانة العلمية وقال: (لانّ القرّاء يعلمون أنّه ليست لي القدرة على تقديم مثل هذه المطالب الرياضية).

وعلى أيّ حال فقد شهد تأريخ المرجعية الشيعية بمثل هذه المواقف النبيلة من ذوي النفوس الكبيرة كالشيخ يوسف البحراني (قده)[١] الذي كان مرجعاً للشيعة ومقره في كربلاء المقدّسة، وكان من معاصريه الشيخ الوحيد البهبهاني (قده)[٢]، وفي أحد الأيام قام البهبهاني وسط الجمع واستأذن الشيخ البحراني في الكلام وقال: أنا حجة الله عليكم وأنا من يجب أن ترجعوا إليّ لأنّني أنا الأعلم، فما كان من الشيخ البحراني إلاّ أن أيّد كلامه بكل انشراح ورحابة صدر ودعاه إلى تسلّم المسؤولية والجلوس في موقعه.

كما أنّ الشيخ الوحيد نفسه حينما شعر في سنينه الأخيرة أنّ مسؤولية المرجعية أكبر من أن ينهض بها دعا أبرز تلامذته ووزّع عليهم مسؤوليات المرجعية، ورجع هو يدرّس الكتب المتوسّطة في السلّم الدراسي الحوزوي وهو كتاب (شرح اللمعة).

أقول هذا الكلام بمناسبة القرار الأخير لبابا الفاتيكان وزعيم الكنيسة الكاثوليكية حينما جمع المجلس الكنسي وأعلمهم بعزمه على الاستقالة وأمهلهم إلى نهاية شهر شباط الحالي/ ٢٠١٣ وقال: ((بعد أن راجعت

---

[١] مؤلف كتاب (الحدائق الناضرة) الموسوعة الفقهية الجليلة التي لا زالت من مصادر البحوث العليا ومربي عدد كبير من الأعاظم، توفي عام ١١٨٦.

[٢] مرجع الشيعة ومن أعظم الأساتذة الذي شهدتهم الحوزات العلمية، فقد تخرّج على يديه جملة من الأعاظم كالسيد بحر العلوم والشيخ كاشف الغطاء والمحقق النراقي صاحب مستند الشيعة والسيد علي الطباطبائي صاحب الرياض، توفي عام ١٢٠٦ هـ

ضميري مرات عدّة أمام الله، وقد وصلت إلى التأكّد من أن قواي لم تعد تحتمل القيام بمهام الكنيسة البطرسية بسبب تقدّمي في العمر)).

وقال: ((في عالمنا اليوم، الذي هو عرضة لتغيرات هائلة، ويهتز بأسئلة ذات صلة عميقة بحياة الإيمان)) ووصف قواه بأنّها ((وهنت وتدهورت إلى الدرجة التي أدركتُ فيها عدم قدرتي على الوفاء بالتزاماتي الموكلة إليّ لإدارة شؤون الكنيسة)).

أقول: هذا موقف كبير ينم عن شعور بالمسؤولية تجاه الموقع الذي هو فيه، والمفروض أن تكون كل المرجعيات الدينية والقيادات السياسية الحاكمة هكذا، أما التشبّث بالموقع حتّى لو بلغ به العمر عتيا، ويصبح وجوده كعدمه، ولا يعي ما حوله، ولم يعد قادراً على مجاراة تحديات عصره والقيام بمسؤولياته التي يتطلّبها موقعه لا التي هو قرّرها لنفسه، فهذه حالة بائسة ومتردّية، وسيصبح عقبة في طريق الإصلاح، لأنّ عملية الإصلاح والتغيير تمرّ عبر مصادر القرار، فإذا كان مصدر القرار عاجزاً فسوف تتوقف هذه العمليّة، وهذا واحد من الأسباب التي أدّت إلى ما نحنُ فيه من التردّي والفوضى والظلم وضياع الحقوق والله المستعان.

التفقه في الدين ومبادرة افعال الخير:

وعن امير المؤمنين (عليه السلام): (عليكم بأعمال الخير فتبادروها ولا يكن غيركم أحقّ بها منكم).[١]

وعنه (عليه السلام) قال: ـ(افعلوا الخير ولا تحقّروا منه شيئاً فإنّ صغيره كبير و قليله كثير ولا يقولنّ أحدكم أن أحداً أولى بفعل الخير منّي فيكون والله كذلك، إنّ للخير والشرّ أهلاً فما تركتموه منها كفاكموه أهله).[٢]

ومن أعظم أعمال الخير والطاعات التي أمرنا بالمسارعة إليها واستباقها والمبادرة إليها هي التفقه في الدين ونشر علوم أهل البيت (عليهم السلام) وإرشاد الناس وتعليمهم وتوعيتهم، خصوصاً في المجتمع النسوي الذي يحتاج إلى جهد مضاعف لطول الحرمان والعوائق التي صنعها المجتمع ونحوها من الأسباب.

وهذه من الوظائف المهمة التي قامت بها الصدّيقة الطاهرة الزهراء (عليها السلام) ولم تقل للنساء اذهبن إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) أو أوصلوا مسائلكم عن طريق أزواجكم إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) لأنّها لا تريد أن تحرم نفسها من هذه الطاعة العظيمة.

---

[١] غرر الحكم: رقم ٦١٥١.

[٢] بحار الأنوار: ٦٨/ ١٩٠ عن نهج البلاغة ٤/ ٩٩، قصار الكلمات.

روي في تفسير العسكري (حضرت امرأة عند الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام فقالت : إن لي والدة ضعيفة وقد لبس عليها في أمر صلاتها شيء ، وقد بعثتني إليك أسألك . فأجابتها فاطمة عليها السلام عن ذلك ثم ثلثت ، فأجابت ، ثم ثلثت فأجابت إلى أن عشرت فأجابت ، ثم خجلت من الكثرة ، فقالت : لا أشق عليك يا بنت رسول الله. قالت فاطمة عليها السلام : هاتي و سلي عما بدا لك ، أرأيت من اكترى يوما يصعد إلى سطح بحمل ثقيل، و كرائه مائة ألف دينار أ يثقل عليه ؟ فقالت : لا . فقالت عليه السلام : اكتريت أنا لكل مسألة بأكثر من ملء ما بين الثرى إلى العرش لؤلؤا فأحرى أن لا يثقل عليَّ ، سمعت أبي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : إن علماء شيعتنا يحشرون ، فيخلع عليهم من خلع الكرامات على قدر كثرة علومهم ، و جدهم في إرشاد عباد الله . حتى يخلع على الواحد منهم ألف ألف خلعة من نور. ثم ينادي منادي ربنا عز وجل : أيها الكافلون لأيتام آل محمد ،الناعشون لهم عند انقطاعهم عن آبائهم الذين هم أئمتهم ، هؤلاء تلامذتكم والأيتام الذين كفلتموهم و نعشتموهم، فاخلعوا عليهم ﴿كما خلعتموهم﴾ خلع العلوم في الدنيا، فيخلعون على كل واحد من أولئك الأيتام على قدر ما أخذوا عنهم من العلوم، حتى أن فيهم يعني في الأيتام لمن يخلع عليه مائة ألف خلعة و كذلك يخلع هؤلاء الأيتام على من تعلم منهم. ثم إن الله تعالى يقول : أعيدوا على هؤلاء العلماء الكافلين للأيتام حتى تتموا لهم خلعهم و تضعفوها، فيتم لهم ما كان لهم قبل أن يخلعوا عليهم، و

يضاعف لهم، و كذلك من بمرتبتهم ممن يخلع عليه على مرتبتهم. و قالت فاطمة عليها السلام : يا أمة الله إن سلكا من تلك الخلع لأفضل مما طلعت عليه الشمس ألف ألف مرة، و ما فضل فإنه مشوب بالتنغيص والكدر).[١]

[١] بحار الأنوار: ج٢ ص٣ ح٣.

الإمام الهادي (عليه السلام) يواجه أصحاب الدعاوى الباطلة

تعوّدنا في ذكريات الأئمة (صلوات الله عليهم أجمعين) أن نستطلع صفحة من سفر حياتهم الكريمة الغنيّة لنأخذ منها الدروس والعبر بما يرتبط بواقعنا المعاصر، وفي ذكرى استشهاد الإمام علي الهادي (عليه السلام) عاشر الأئمة الأطهار (عليهم السلام) نأخذ منه درساً في مواجهة أهل البدع والضلالات وأدعياء العناوين الدينية الزائفة.

ففي عدّة مصادر بسندهم عن أبي هاشم الجعفري –من ذرية جعفر بن أبي طالب ـ قال: ((ظهرت في أيّام المتوكّل امرأة تدّعي أنّها زينب بنت فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال المتوكّل: أنت امرأة شابّة وقد مضى من وقت وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله) ما مضى من السنّين، فقالت: إنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) مسح على رأسي وسأل الله أن يردّ عليّ شبابي في كلّ أربعين سنة، ولم أظهر للنّاس إلى هذه الغاية فلحقتني الحاجة فصرت إليهم.

فدعا المتوكّل مشايخ آل أبي طالب وولد العباس وقريش وعرّفهم حالها، فروى جماعة وفاة زينب بنت فاطمة (عليهما السلام) في سنة كذا. فقال لها: ما تقولين في هذه الرّواية.

فقالت: كذب وزور، فإن أمري كان مستوراً عن الناس، فلم يعرف لي حياة ولا موت فقال لهم المتوكّل: هل عندكم حجّة على هذه المرأة غير هذه

الرواية؟ فقالوا: لا. فقال أنا بريء من العبّاس أن لا أنزلها عمّا ادّعت إلاّ بحجّة.

قالوا: فأحضر ابن الرضا (عليه السّلام) فلعلّ عنده شيئاً من الحجّة غير ما عندنا فبعث إليه فحضر فأخبره بخبر المرأة فقال: كذبت فإنّ زينب توفّيت في سنة كذا في شهر كذا في يوم كذا، قال: فإنّ هؤلاء قد رووا مثل هذه وقد حلفت أن لا أنزلها إلاّ بحجّة تلزمها.

قال: ولا عليك فها هنا حجّة تلزمها وتلزم غيرها، قال: وما هي؟ قال: لحوم ولد فاطمة محرمة على السباع فأنزلها إلى السباع فإن كانت من ولد فاطمة فلا تضرّها السباع، فقال لها: ما تقولين؟، قالت: إنّه يريد قتلي، قال: فها هنا جماعة من ولد الحسن والحسين (عليهما السلام) فأنزل من شئت منهم، قال: فوالله لقد تغيّرت وجوه الجميع فقال بعض المبغضين: هو يحيل على غيره لم لا يكون هو؟

فمال المتوكّل إلى ذلك رجاء أن يذهب من غير أن يكون له في أمره صنع، فقال: يا أبا الحسن لم لا يكون أنت ذلك؟ قال: ذاك إليك، قال: فافعل! قال: أفعل فأتى بسلّم وفتح عن السباع وكانت ستة من الأسود فنزل أبو الحسن (عليه السّلام) إليها فلمّا دخل وجلس صارت الأسود إليه فرمت بأنفسها بين يديه، ومدّت بأيديها، ووضعت رؤوسها بين يديه فجعل يمسح على رأس كلّ واحد منها ثمّ يشير إليه بيده إلى الاعتزال فتعتزل ناحية حتّى اعتزلت كلّها وأقامت بإزائه.

فقال له الوزير: ما هذا صواباً فبادر بإخراجه من هناك، قبل أن ينتشر خبره، فقال له: يا أبا الحسن ما أردنا بك سوءاً وإنّما أردنا أن نكون على يقين ممّا قلت فأحب أن تصعد، فقام وصار إلى السلّم وهي حوله تتمسّح بثيابه.

فلمّا وضع رجله على أوّل درجه التفت إليها وأشار بيده أن ترجع فرجعت وصعد، فقال: كلّ من زعم أنّه من ولد فاطمة فليجلس في ذلك المجلس، فقال: لها المتوكّل: انزلي.

قالت: الله الله ادّعيت الباطل، وأنا بنت فلان حملني الضرّ على ما قلت، فقال المتوكّل: القوها إلى السبّاع فاستوهبتها والدته)).[1]

أقول نستخلص من هذه الرواية عدّة دروس:

١ ـ تفاعل الإمام (عليه السلام) الايجابي مع قضايا الأمة ومشاكلها وتحدّياتها وحضوره الميداني في وسط الأمة، لا كما نشهده من السلبية والإنكماش والانعزال الذي رسّخته المرجعية والحوزة التقليدية فهذا منهج مبتدع وبعيد عمّا سار عليه الأئمة الأطهار.

---

(١) الخرائج والجرائح: ٤٠٤/١ باب معجزات الإمام الهادي (عليه السلام)، ح١١ ومصادر أخرى.

إن الأئمة ونوّابهم بالحق هم سفن النجاة ومصابيح الهدى فإذا لم يكونوا حاضرين في الميدان مع الأمة فإلى من تلتجئ؟ وممن تأخذ الحل؟ ومن المسؤول عن ضلالها وتشوشها وانتشار الفساد والإنحراف فيها؟.

٢ ـ تفرّد أهل البيت (عليهم السلام) بالمناقب والفضائل التي حباهم الله تعالى بها، بحيث لا يضاهيهم أحد مما يؤكد استحقاقهم للإمام والخلافة بما فضّلوا به على الخلق أجمعين رغم أنوف الشانئين والحاسدين ، لذلك تجد الأمة تفزع إليهم في كل معضل ومشكل (لا أبقاني الله لمعضلة ليس لها أبو الحسن) وكما قال الفراهيدي في جوابه على من سأله عن استحقاق أمير المؤمنين (عليه السلام) للإمامة والخلافة قال (لحاجة كلّ الخلق إليه واستغنائه عنهم جميعاً).

٣ ـ فشل المتقمصين للخلافة وعجزهم وافتضاح أمرهم في كلّ مشكلة تواجههم والشواهد على ذلك كثيرة، وفي ذلك حجّة على من يتّبعهم ويواليهم ويعطيهم المشروعية، وبدلاً من معالجتهم لهذه المشاكل والصعوبات التي يعاني منها الناس تجدهم يرسّخونها وينشرونها لكي يشوّشوا فكر المجتمع ويشغلوه بهذه الفتن ولا يلتفت إلى مظالم الحكّام واستبدادهم واستئثارهم بمقدرات الأمة

فبالرغم من أن المتوكّل يقطع بأنّ هذه المرأة ليست بنت علي وفاطمة ويمكنه كرئيس دولة قوية ومتنفّذة أن يتحرى عن أصل هذه المرأة وأبويها ومن أيّ مدينة إلاّ أنّه تمادى في نشر هذه الفتنة ويقسم على (أن لا أنزلها عمّا ادعت إلا بحجة) وهو يتمكّن من دحض قولها بالتعرّف على هويتها.

٤ ـ معرفة المدّعين لهذه العناوين الدينية بأنّهم كاذبون ومفترون وإنّ ما يقولونه زور وبهتان كهذه المرأة التي ادّعت أنّها بنت علي وفاطمة (عليهما السلام) وهكذا كلّ المدعين لذلك تجدهم يعترفون عندما تضغطهم الحجّة والدليل، ويتعرّضون للعقوبة لكنّهم يراهنون على جهل الناس وسذاجتهم وتسطيح عقولهم وخداعهم بأمور تشتبه عليهم فتتبعهم الناس من دون تعقّل ورويّة ودقّة نظر فيكونون من الأخسرين أعمالاً الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنّهم يُحسنون صنعاً.

٥ ـ وممّا يحتاج إلى الدراسة والتأمّل أسباب نزوع هؤلاء إلى هذه الإدّعاءات مع معرفة كذبهم في قرارة أنفسهم وعظيم جنايتهم إذ يضل خلق كثير بسببهم، وقد عبّرت هذه المرأة بدقّة عن

السبب وهو قولها ((حملني الضرّ على ما قلت)) فإنّها في فاقة وحاجة ولم تجد سبيلاً لسدِّها فالتجأت إلى الخداع بهذه الفريّة لتستهوي قلوب بعض العامّة ويغدقون عليها بالأموال، وقد يكون السبب عند غيرها حبّ الجاه والنفوذ والتسلّط على رقاب الناس وغيرها.

٦ ـ اعتماد لغة الحوار والدليل والإقناع للرد على المعاندين والمدّعين وأصحاب الشبهات والضلالات ومقارعة الحجة بالحجة، ما لم ينتقل الطرف الآخر إلى العمل المسلّح الذي يفسد في الأرض، أو يكون خطره عظيماً بأن ينسب الفتن والبدع التي يفتريها من عنده إلى نفس الإمام المعصوم وإلى مدرستهم الشريفة.

فقد أمر الإمام الهادي (عليه السلام) بقتل عدد من أمثال هؤلاء كقوله (عليه السلام) في ابن بابا القمي (يزعم ابن بابا أني بعثته نبياً، وأنّه بابٌ عليه لعنة الله، سخر منه الشيطان فأغواه فلعن الله من قبل منه ذلك، يا محمد: إن قدرت أن تشدخ رأسه بالحجر ففعل، فإنّه قد آذاني، آذاه الله في الدنيا والآخرة).[1]

---

(١) رجال الكشي: ٥٢٠/ ٩٩٩.

ومنهم فارس بن حاتم، يروي محمد بن عيسى بن عبيد: ان أبا الحسن العسكري (عليه السلام) أمر بقتل فارس بن حاتم وضمن لمن قتله الجنة، فقتله جُنيد، وكان فارس فتّاناً يفتن الناس ويدعوهم إلى البدعة، فخرج من أبي الحسن (عليه السلام): (هذا فارس لعنه الله يعمل من قبلي فتاناً داعياً إلى البدعة، ودمه هدرٌ لكل من قتله، فمن هذا يريحني منه ويقتله، وأنا ضامن له على الله الجنّة).[1]

ويروي جنيد أن الإمام الهادي (عليه السلام) بعث إليّ فدعاني فصرت إليه، فقال (آمرك بقتل فارس بن حاتم) فناولني دراهم من عنده وقال اشترِ بهذه سلاحاً فاعرضه عليّ) إلى آخر الرواية.[2]

أيّها الأخوة:

هذا درس من حياة الإمام الهادي (عليه السلام) نستلهمه ونهتدي به في هذا الزمن الذي كثرت فيه الدعاوى وكثر المدّعون كالدعوات المرتبطة بالإمام المهدي (عليه السلام) أو دعوات الانتساب إلى ذرية الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بدون بيّنة سوى ظنون لا تغني عن الحقّ شيئاً، ودعاوى أصحاب النور والأعمال الروحانية وأصحاب الكرامات، مضافاً إلى هذه القبور الوهمية التي تظهر بعدد هائل بعنوان أنّها لأولاد وبنات المعصومين (عليهم السلام).

---

(١) (٥) رجال الكشّي: ٥٢٤/ ١٠٠٦.

والهدف من كل هذه الدعوات التي يعرف أصحابها قبل غيرهم كذبها هو الضحك على عقول الناس لخلق نفوذ وجاه وأتباع واستدرار الأموال طمعاً في هذه الدنيا الدنيّة.

وفي ذلك تشويش لعقائد الناس وتشويه لمدرسة أهل البيت (عليهم السلام) وتجهيل للناس واستخفاف بهم ممّا يخدم مشاريع أعداء الإسلام ويفتح الطريق لهم بيسر ليستعبدوا المجتمعات الإسلامية فعلينا جميعاً أن نتأسّى بالإمام الهادي (عليه السلام) وكلّ الأئمة الأطهار (عليهم السلام) ونقف بحزم وشجاعة وحكمة أمام هؤلاء المدّعين ونفضحهم ونكشف زيف دعاواهم.

تعاملوا في حياتكم بإيجابية

قال الله تبارك وتعالى مخاطبا نبيه الكريم (ﷺ) {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ} ﴿الأنبياء : ١٠٧﴾ وقال تعالى {إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ} ﴿الكوثر : ١﴾ والكوثر تعني الخير الكثير، وقال تعالى على لسان زكريا في دعائه لطلب الولد {وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا} ﴿مريم : ٦﴾ وقال على لسان عيسى بن مريم {وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ} ﴿مريم : ٣١﴾ أي كثير البركة و العطاء، ونحو ذلك من الآيات التي ضمت مجموعة من صفات الإنسان الصالح ويجمعها الوصف الذي نطلقه على المؤمن بانه (خَيِّر) وهي من صيغ المبالغة أي لا ترى منه إلا الخير، لذا وصفته بعض الاحاديث الشريفة بانه (الخير منه مأمول والشر منه مأمون).

ووردت احاديث كثيرة تدعوا إلى ان يكون الأنسان مصدر خير وعطاء وعنصرا مثمرا في المجتمع كالاحاديث التي تحث على السعي في قضاء حوائج الناس ومساعدتهم وإدخال السرور[1] عليهم ورفع

---

١)اذكر حديثا واحدا عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: (فوالذي وسع سمعه الأصوات ، ما من احد أودع قلبا سرورا ألا وخلق الله له من ذلك السرور لطفا، فاذا نزلت به نائبة

الأذى عنهم وفعل المعروف لجميع الناس بغضّ النظر عن الدين أو القومية أو النسب ونحو ذلك وتذكر لهذه الأعمال الإنسانية الصالحة ثوابا عظيما يفوق اكثر العبادات أهمية.

وأكمل الشارع المقدس هذه الصورة الحسنة لسلوك المؤمن فطالبهُ بالعفو والصفح عن إساءة الآخرين، قال تعالى {وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ} ﴿النور : ٢٢﴾ وامر بنسيان إساءة الآخرين وكأنها لم تقع وان يبقى دائما يتذكر إحسان الآخرين اليه بل دعا الى مقابلة السيئة بالحسنة {ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ} ﴿فصلت : ٣٤﴾ ، كما امر بان يكون على عكس ذلك في العلاقة مع نفسه، وذلك بان يتذكر دائماً أساءته للآخرين حتى يكون رادعا عن تكرارها، وان ينسى إحسانه للآخرين حتى لا يحصل عنده شعور بالعجب والمنّ و التفضّل عليهم فيمنعه ذلك من الاستمرار في فعل المعروف، ففي الحديث الشريف (انسى اثنين : إحسانك إلى الغير وإساءة الغير اليك، واذكر اثنين: أساءتك إلى الغير وإحسان الغير اليك).

جرى اليها كالماء في انحداره حتى يطردها عنه ، كما تطرد غريبة الابل) (نهج البلاغة/ الحكمة ٢٥٧)

وطلب الشارع المقدس أن تختار الأحسن والأفضل للآخرين عندما تكون بين خيارين أو بين موقفين أو سلوكين فأمر بان تحمل فعل أو قول أخيك على سبعين محملاً حسنا، وان كان ظاهره السوء، لكنه مادام يحتمل أن يكون حسناً فلا تقصّر في الأخذ بهذا الاحتمال ، حتى وان تجاوزت السبعين احتمالا، وهو رقم يقال للتعبير عن الكثرة فلا يمنع من الأزيد .

وان يكون هذا هو منهج حياتك بان تفتش عن أحسن ما عند الآخرين فتنظر اليه على أساسه، وان تفتش عن أسوء ما في نفسك فتُقيّمها على أساسه لتكون بين هذا وذلك أنسانا صالحا يسعى نحو الكمال ويحب الخير للناس .

روي أن أخوة يوسف الصديق (عليه السلام) لما تعارفوا معه واعترفوا بجريمتهم تملكهم الحياء مما صنعوا به لكنه خفف عليهم واعتبرهم أصحاب فضل عليه لانهم عرفّوه الى أهل مصر انه ابن الأنبياء الكرام وكان يُنظر اليه على انه عبد كنعاني أُشتريَ من سوق النخّاسين، فهل يوجد سمو في التعاطي مع الأمور مثل هذا؟

فيما روي من مواعظ النبي الكريم عيسى ((عليه السلام)) انه مرَّ هو وأصحابه على جيفة كلب ميت فقال بعضهم ما انتن ريحه وقال الآخر

ما اقبح منظره وهكذا، لكن النبي الكريم المتأدب بخلق الله تعالى قال (ما اشَّد بياض أسنانه)[١].

إن الإنسان حينما يسير وفق هذه الرؤية ويتبع هذا المنهج من التفكير يحصل على ثمرات عديدة، منها القرب إلى الله تعالى، وراحة البال، والسعادة[٢] وحسن الذكر عند الناس مضافا الى شيء مهم يحسُن الالتفات اليه وهو انه ستتجاوب معه كل عناصر الخير في الكون لأنه محكوم بسنن الهية ثابتة فمن اخذ بها نال كل خيراتها وبركاتها، {وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ} ﴿الأعراف : ٩٦﴾ .

وبذلك يكون قوله تعالى {لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ} ﴿إبراهيم : ٧﴾ على القاعدة الطبيعية ـ كما يقال ـ وليس بالجعل التشريعي لزيادة النعم مقابل الشكر، وإنما هي حالة تكوينية طبيعية فان الإنسان الشاكر

---

١) حلية الأولياء لابي نعيم الأصبهاني

٢) واذكر حديثاً واحداً في ذلك باختصار وهو قول أمير المؤمنين (عليه السلام) (السرور يبُسُط النفس ويثير النشاط، الغمّ يقبِضُ النفس ويطوي الانبساط)(غرر الحكم:٢٢٠٣و٢٠٢٤)

يكـون جـزءا منسـجماً مـع الكـون فيحظـى ببركـات القـوانين الإلهيـة الـتي تنظم حركة الكون .

وهـذا مـا يعـترف بـه غـير الموحـدين أيضـا فـانهم يقولـون إن الإنسـان يجـب أن يكـون ممتنـا شـاكرا للكـون ـ بحسـب تعـبيرهم لانهـم لا يعتقـدون بوجـود الله سـبحانه ـ علـى نعمـه لكـي يحصـل الإنسـان علـى المزيـد مـن النعم وغيرها مما تستحق أن يسعى اليها الإنسان.

هـذا المـنهج والسـلوك الـذي أسـس لـه الشـارع المقـدّس اصـبح اليـوم مـن اهـم قضـايا علـم الاجتمـاع والتنميـة البشـرية الـتي يهـتم بهـا العـالم المتحضـر فتؤلـف الكتـب وتعقـد النـدوات وتقـدّم الـبرامج التلفزيونيـة الـتي تتحـدث عـن ((أهميـة الـتفكير الإيجـابي)) وتوصـلوا فيهـا إلى جملـة مـن النتائج التي بيّنها الشارع المقدس .

ونُقـل لـي أنّ مـن الكتـب الواسـعة الانتشـار في هـذا المجـال كتـاب (السـر) ومـما جـاء فيـه ((إن للأفكـار قـوة مغناطيسـية ولهـا تـردد وعنـدها قـدرة علـى الأرسـال و الاسـتقبال مثـل الموجـات الكهرومغناطيسـية ويـتم أرسـال الأفكـار هـذه إلى الكـون فتنجـذب لهـا مغناطيسـياً كـل الأشـياء الـتي تشـبهها ثـم ترجـع ثانيـاً إلى المصـدر الـذي هـو نفـس الشـخص، وان الإنسان اذا كان إيجابيا فانه يجذب كل خير اليه)).

إن الشارع المقدس علَّم الإنسان أن يكون تفكيره إيجابيا في كل حالاته حتى عندما يشتد عليه البلاء من خلال إعطائه ثقافة إيجابية توجه سلوكه فانه وعده بالأجر العظيم اذا صبر واحتسب وأن هذا البلاء كفارة لذنوبه التي اجترحها وبذلك يكون فرصة للإنسان حتى يراجع نفسه ويحاسبها ويصلح أخطاءه، ووعده بالفرج وزوال البلاء مع ثبات الأجر، { وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ❖ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ } ﴿البقرة : ١٥٦ » ١٥٥﴾ ، {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا❖ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ } ﴿الطلاق : ٣ » ٢﴾ وبذلك يكون الإنسان سعيداً وهو في اشدَّ حالات البلاء كالذي مرّ به الأنبياء و الأئمة صلوات الله عليهم أجمعين.

خذ مثلاً ما جرى في واقعة كربلاء التي مثّلت اشرس جريمة عبر التاريخ لكن أصحاب الأمام الحسين (عليه السلام) كانوا فرحين سعداء لانهم نظروا إلى صورتها الأخرى المتمثلة فيما اعدَّ لهم من الكرامة والمقام المحمود عنده تبارك وتعالى والبركات العظيمة التي تثمرها إلى نهاية الدنيا.

وحينما حاول ابن زياد أن يظهر حقده وسمومه على عقائل النبوة وخاطب العقيلة زينب شامتاً (أرايت صنع الله بأخيك والعتاة المردة

من أهل بيتك) قالت (عليها السلام) (ما رأيت إلا جميلاً أولئك قوم كتب الله عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم وسيجمع الله بينك وبينهم فتحاج وتخاصم فانظر لمن الفلج يومئذ ثكلتك أمك يأبن مرجانة) فوصفت ما حصل بانه جميل .

والإمام الكاظم (عليه السلام) في قعر السجون المظلمة والتعذيب وقيود الحديد لكنه كان يرى الجانب الآخر من الصورة ويقول في مناجاته (الهي طالما سألتك أن تفرغني لعبادتك وقد فعلت فلك الحمد) .

وهكذا النبي الكريم يوسف (عليه السلام) يقول {رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ} ﴿يوسف : ٣٣﴾ فالسجن مع عذابه ومشقته وضيقه يرى (عليه السلام) فيه الصورة الأخرى وهي نجاته من مكائد النسوة وفخوخ الشيطان لإيقاعه في معصية الله تعالى والأمثلة كثيرة .

أما من يتعامل مع الأمور و الأحداث بسلبية فانه يكون في شقاء وتعاسة ويكون عيشه منكدا ونحو الأسوأ من دون ان يغيِّر في الواقع شيئاً لان الأحداث جارية شاء أم أبى عن أمير المؤمنين عليه (عليه

السلام) قال (إنك إن صبرت جرت عليك المقادير وأنت ماجور، وان جزعت جرت عليك المقادير وأنت مأزور)[١]

حكي إن مكتشف الكهرباء اجرى ٢٠٠٠ تجربة على نماذج المصباح الكهربائي قبل أن يصل إلى مراده فسخروا منه وانك أتعبت نفسك وخسرت الكثير في أجراء هذه التجارب الفاشلة فقال : ليس الأمر كذلك فقد استفدت معلومة وهي أن هذه الألفي طريقة للعمل غير منتجة.

تقول احدى النساء أنها كانت أما لطفلين ثم حصلت مشاكل مع زوجها وانفصلت عنه وكانت تشعر بضيق وحزن ومتعبة نفسيا وغاضبة على زوجها لأنه تركها وترك مسؤولية إعالة الأطفال على عاتقها حيث كانت مسؤولة عن دفع إيجار المنزل وفواتير الكهرباء والماء وغيرها وكانت الديون تتراكم عليها فبسبب كل تلك الضغوط كانت تشعر بالحقد والكره الشديد تجاه زوجها وبسبب الضغوط النفسية اصبح ذلك يؤثر على عملها فكانت ترتكب أخطاء في العمل وتتأخر في إنجاز ما هو مطلوب منها في العمل لأنها محطمة ولا تستطيع العمل بكفاءة عالية لإنجاز الأعمال المطلوب منها في وظيفتها ولكنها

---

١) ميزان الحكمة : ٢٦/٥

عندما قرات كتاب السر بدأت تغير طريقة تفكيرها وبدأت تنظر إلى الجوانب الإيجابية الموجودة في حياتها حيث قالت إن الجانب الإيجابي الذي أستفدته من زواجي هو الحصول على طفلين جميلين وانها سعيدة بهم وبوجودهم بحياتها ولا تتحمل فكره فقدانهم أو عدم وجودهم بحياتها فعندما بدأت تركز على الأمور الإيجابية والنعم الموجودة عندها في حياتها أصبحت اكثر راحة وأصبحت ممتنة لله وشاكرة لله على النعم الذي انعمها عليها وأصبحت مشاعرها إيجابية وبالتالي تركيزها وكفاءتها في عملها اصبح افضل وإنتاجها في العمل اصبح اكثر وبالتالي بداء راتبها يزداد وبدأت تستطيع تسديد الفواتير

....

ولكي يكون الإنسان معطاءاً محّبا للخير صبوراً عند الشدائد متفائلا عليه ان يصلح عقائده وتصوراته ونظرته للحياة أولا لأنها هي التي توجّه سلوكه ، لذا ينبغي ان يلتفت إلى أمور:

١- إن كل ما حوله هو خلق الله وان الناس عيال الله تعالى ، عن النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال: ((الخلقُ كُلُّهم عِيالُ الله عزَّ وجلَّ،

فأَحَبُّ خلقِه إليه أنفعُهم لعِيالِه))[1] وفي دعاء الإمام السجاد(عليه السلام) برواية أبي حمزة الثمالي (والخلق كلهم عيالك) فلابد أن يكون كريماً معهم رحيماً بهم محبّا لهم مهما كانوا.

٢-إن ما يجري هو بقضاء الله وقدره {قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ} ﴿التوبة : ٥١﴾ وما دام الله مولانا وهو الذي يتولى أمورنا فلا يختار لنا إلا خيرا ولكننا قد لا نفهم ذلك {وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ} ﴿البقرة : ٢١٦﴾ فلابد من التسليم له و الرضا به لان الاعتراض و السخط له عواقب وخيمة في الدنيا و الآخرة.

٣-إن الله تعالى يقول (انا عند ظن عبدي بي ان ظن خيرا فله، وان ظن شراً فله)[2] فمن يكون ظنه حسناً ويبحث عن الأمور الحسنة في الحياة فانه سيتحقق له ذلك بأذن الله تعالى

٤-إن الدنيا زائلة ولا يستحق أي شيء فيها أن يكون محط الاهتمام إلا ما يقرّب إلى الله تعالى وينفع في الآخرة

٥ - إن من ينظر إلى الجوانب الإيجابية الحسنة للأمور وان لم تكن كذلك حقيقة يكون سعيدا مرتاح البال وكفى بذلك ثمرة طيبة

---

١) أخرجه البزار (٣٩٨/٢/ح١٩٤٩ . كشف الأستار . و البيهقي في شعب الايمان (٤٢/٦/٦-٤٣ ح ٧٤٤٦-٧٤٤٧)

٢)الترغيب والترهيب – صفحة او الرقم :٢١٥/٤

فالسعادة ليست في تحقيق كل ما تتمنى وتريد بل في كونك في طريق الوصول اليها وفي أجواء العمل من اجل تحقيقها.

٦ ـ أما من ينظر إلى الأمور بسلبية فانه يكون في تعاسة وشقاء من دون أن يتغير حاله إلى الأفضل بل إلى الأسوأ.

الذين استجابوا لله وللرسول من بعد ما أصابهم القرح

بالأمس كان هنا وفد من المصلين في جامع الرحمن في منطقة سبع البور شمال بغداد التي استهدفها تفجير انتحاري مجرم[1] أثناء إقامة صلاة العشاءين فاستشهد (١٥) بينهم إمام المسجد وأخواه وجرح (٢٥)، وكان مع الوفد عدد ممن أصيبوا في الحادث وقد أشاروا في حديثهم إلى أنّ عدد المصلين ازداد بعد هذا الحادث المروِّع، كما ازداد عدد السيارات التي تتوجه أسبوعياً من المنطقة لزيارة الإمامين العسكريين ورفع الغربة عن روضتهما المطهرة في سامراء.

ومن لطيف الصدف أن تكون زيارتهم في يوم ذكرى واقعة مشابهة حصلت في زمن النبي (صلى الله عليه وآله) تسمى (حمراء الأسد) بعد معركة أُحُد بيوم أو أكثر وهي غزوة لا يعرف تفاصيلها إلاّ من ندر، وفيها درس ينطبق على الوفد الزائر وعلى واقعنا المعاصر وهو من دروس واقعة أُحُد وتداعياتها.

وقد تضمنت سورة آل عمران في القرآن الكريم دروساً ومواقف وعبر من معركة (أُحُد) التي عصى فيها بعض المسلمين أوامر رسول الله (صلى الله عليه وآله) وركنوا إلى الدنيا فتحولّ النصر الذي تحقق على يد أمير المؤمنين (عليه السلام) في بداية المعركة إلى هزيمة للمسلمين فاستشهد (٧٠) على رأسهم حمزة بن عبد المطلب عم رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وعاد المشركون

---

[1] وقع الحادث يوم السبت ١٢/شعبان/١٤٣٤ المصادف ٢٠١٣/٦/٢٢ وقد نشرت صحيفة الصادقين بيان سماحة المرجع عن الحادث.

متجهين إلى مكة، لكنّهم تلاوموا في الطريق بأنّهم لم يقضوا على النبي (صلى الله عليه وآله) ولا سيطروا على المدينة لاستئصال الدين الجديد فقرروا العودة باتجاه المدينة.

فنزل الوحي على رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأخبرهم بعزم قريش وأن تكليفه الخروج بمن معه لمواجهتهم وإراءتهم أن ما حلّ بهم يوم أُحُد لم يضعف عزيمتهم ولم يُقلل من قوّتهم واشترط أن لا يخرج معه إلاّ من شهد أُحُداً، وكانوا مثخنين بالجراح مفجوعين بأحبتهم ومهزومين معنوياً، فاستجابوا لرسول الله (صلى الله عليه وآله) وخرجوا معه لملاقاة قريش المزهوة بالانتصار والتي تفوقهم عدة وعدداً وأعطى أبو سفيان أموالاً لبعض القوافل المتجهة إلى يثرب ليخوّف المسلمين ويرعبهم وأنّ قريش قد جمعت لكم الجموع لكنّهم أصرّوا على المضي مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) وقالوا: (حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ) (آل عمران/ ١٧٣).

روى في الدرّ المنثور ((أنّ رجلاً من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) من الأنصار كان شهد أُحُداً قال: شهدتُ مع الرسول (صلى الله عليه وآله) أُحُداً، أنا وأخٌ لي فرجعنا جريحين، فلما أذّن رسول الله (صلى الله عليه وآله) بالخروج في طلب العدو، قلت لأخي أو قال لي: تفوتنا غزوة مع رسول الله (صلى الله عليه وآله)؟ مالنا من دابة نركبها وما منّا إلا جريح ثقيل، فخرجنا مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) وكنت أيسر جرحاً منه، فكنت إذا غُلِب حملته عقبة ومشى عقبة، حتى انتهينا إلى ما انتهى إليه المسلمون، فخرج

رسول الله (صلى الله عليه وآله) حتى انتهى إلى حمراء الأسد وهي من المدينة على ثلاثة أميال فأقام بها ثلاثاً ثم رجع إلى المدينة)[1] لأن أبا سفيان لما علم بخروج النبي (صلى الله عليه وآله) وأصحابه الموتورين في أُحُد خشي أن يقابلهم وهم قادمون للانتقام من قريش، مضافاً إلى شخصاً ممن أسلم حديثاً لكنه لم يعرف أبو سفيان بإسلامه توجّه إلى أبي سفيان وحذّره من ملاقاة المسلمين لأنهم خرجوا عن بكرة أبيهم لينتقموا من قريش وتسمى هذه الغزوة (حمراء الأسد) باسم الموضع الذي مكث فيه رسول الله (صلى الله عليه وآله) منتظراً قدوم قريش.

وإنما ذكرتُ ملخص الواقعة لأن القليل ممن يعرفها، ولا شك أن معرفتها توفّر بيئة لفهم الآيات المتعلقة بها ليستطيع تدبّرها وأخذ الدرس منها، قال تعالى (الَّذِينَ اسْتَجَابُواْ لِلّهِ وَالرَّسُولِ) وهم من شاركوا في أُحُد وأصيبوا لكنهم استجابوا لدعوة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وخرجوا معه (مِن بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ) وهو القتل والجرح والآلام في معركة أُحُد (لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ مِنْهُمْ وَاتَّقَواْ أَجْرٌ عَظِيمٌ) فالقبول لا يكون إلا من الذين اتقوا والذين هم محسنون: (الذين قال لهم الناس) وهم من بعثهم أبو سفيان لإرعاب أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) (إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ) وهم قريش (فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ) وكان هذا دليل نجاحهم في الاختبار وصحة إيمانهم (فَانقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَفَضْلٍ)

---

[1] الدر المنثور: ٣٨٧/٢.

وهو الأجر العظيم الذي ذكر آنفاً وانتصارهم على الخوف الذي زرعه فيهم الشيطان وأولياؤه، وفي تحوِّل هزيمتهم إلى نصر حيث راحوا يلاحقون قريشاً وفي تحوّل نصر قريش إلى هزيمة حيث جبنوا عن لقاء النبي وأصحابه وآثروا الرجوع إلى ديارهم (لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ) إذ دفع الله تعالى عنهم قريش ولم يحصل قتال (وَاتَّبَعُواْ رِضْوَانَ اللّهِ وَاللّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ) (آل عمران: ١٧٢ ـ ١٧٤).

إنّنا في العراق نصاب يومياً بالجروح والقروح حتى إنه لم يبق مكان آمن من التفجيرات والاستهدافات فما أحوجنا إلى استلهام هذا الدرس والاستفادة منه بأن لا نشعر بالإحباط واليأس مما يحلُّ بنا، بل نلملم جراحنا ونتقدم في العمل حتى نحصل على ما ذكرته الآية الشريفة (فَانقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَفَضْلٍ) (آل عمران/ ١٧٤) فإن هذا هو ما نبحث عنه ونريده وهو هدفنا، وليس نريد شيئاً مما يريده أهل الدنيا حتى إذا فاتنا ينتهي كل شيء، وإذا تخلينا عن أهدافا وهويتنا بسبب هذه الأعمال الوحشية فقد أعطينا للعدو مراده، فالرد الصحيح هو بالمضي في العمل الرسالي الذي يرضي الله تبارك وتعالى ورفع الهمّة والعزيمة في التواصي بالحق والتواصي بالصبر.

والمثال الآخر لهذه المواقف الربانية ما حصل في حسينية حبيب بن مظاهر القريبة من جامعة الإمام الصادق (عليه السلام) في حي القاهرة ببغداد وكان يرتادها جمع من طلبة الجامعة لأداء صلاة الظهرين ويطالعون دروسهم استعداداً للامتحانات، فامتدت يد الحقد والحسد والتكفير إلى هذه الفئة

الصالحة وفجّر انتحاري نفسه وسط الجمع ثم تلاه آخر[١]، وكانت حصيلة التفجيرين (٣١) شهيداً و (٥٧) جريحاً، والذي حصل بعد الحادث زيادة المصلين في الحسينية من الطلبة الجامعيين وأبناء المنطقة وتصدي أحد الفضلاء لإمامة الجماعة فيها.

إن هاتين الجماعتين خير مثال لقول أمير المؤمنين (عليه السلام) (بقية السيف أبقى عدداً وأكثر ولدا)[٢] لأنها استجابت لله ولرسوله بعد أن أصابهم القرح وقد وعد الله تعالى بأنهم يعودون بنعمة من الله وفضل أسوة بأصحاب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الذين خرجوا معه إلى (حمراء الأسد).

إن الوقائع التي يحكيها القرآن الكريم ليست حوادث تاريخية وقصصاً تذكر للتسلية والإطلاع بل هي دروس حيّة ورسالة هداية وإصلاح وثبات على صراط الحق لجميع الأجيال حتى يوم القيامة، ومنها هذه الآيات سورة آل عمران التي لم تكن مفهومة بهذا الشكل قبل أن نتعرف على بيئتها وظروفها، وعرفنا الآن إنها دعوة للثبات والاستمرار في الاستجابة لله ولرسوله في بناء النفس وإصلاح المجتمع ورفع المعنويات غير متأثرين بالمصائب والآلام.

---

[١] وقع الحادث يوم الثلاثاء ٨/شعبان/١٤٣٤ المصادف ٢٠١٣/٦/١٨.

[٢] نهج البلاغة، قصار الحكم: ٨١

شرف خدمة أهل البيت (عليهم السلام) وولايتهم

(روي انّ أبا عبدالله عليه السلام كان عنده غلام يمسك بغلته اذا هو دخل المسجد، فبينما هو جالس ومعه البغلة اذا اقبلت رفقة من خراسان ، فقال له رجل من الرفقة: هل لك يا غلام أن تسأله ان يجعلني مكانك، وأكون له مملوكاً، واجعل لك مالي كله، فانّي كثير المال من جميع الصنوف، اذهب فاقبضه ،وأنا أقيم معه مكانك؟

فقال: اسأله ذلك.

فدخل على أبي عبد الله عليهِ السَّلام فقال: جُعلت فداك تعرف خدمتي ، وطول صحبتي ، فان ساق الله اليّ خيراً تمنعنيه؟

قال: اعطيك من عندي ، وامنعك من غيري.

فحكى له قول الرجل ، فقال: إن زهدت في خدمتنا ورغب الرجل فينا ، قبلناه ،وأرسلناك. فلما ولّى عنه دعاه ـ الإمام ـ فقال له: أنصحك لطول الصحبة ولك الخيار، فإذا كان يوم القيام كان رسول الله صلى الله عليه وآله متعلّقاً بنور الله، وكان أمير المؤمنين عليه السلام متعلّقاً برسول الله، وكان الأئمة متعلّقين بأمير المؤمنين، وكان شيعتنا متعلّقين بنا، يدخلون مدخلنا ويردون موردنا.

فقال الغلام: بل أقيم في خدمتك وأؤثر الآخرة على الدنيا. وخرج الغلام إلى الرجل فقال له الرجل: خرجت إليّ بغير الوجه الذي دخلت به! فحكى له قوله (أي قول الإمام سلام الله عليه).[١]

أقول: هذا بعض ما أعدّه الله تعالى من الشرف والكرامة لخدّام أهل البيت (عليهم السلام) الموالين لهم مما لا يعدله شيء من هذه الدنيا الزائلة، وهكذا يتنافس عليها العارفون بها.

وقد تسأل بأن هذا الشرف هل هو مخصوص بمن عاصرهم وأتيحت له فرصة خدمتهم ويحرم منها غيرهم كأجيالنا الحاضرة وهذا ينافي عدالة الخالق ولا يليق بسعة رحمته وكرمه.

والجواب يكون بالالتفات إلى أن خدمتهم (عليهم السلام) لا تقتصر على قضاء الحوائج الشخصية لهم حتى تنحصر بمن عاصرهم وباشرهم فإن من أرقى أشكال خدمتهم دراسة علومهم وسيرتهم ونقلها إلى الناس وقد وردت عنهم (عليهم السلام) كلمات جليلة في حق أصحابهم الذين قاموا بهذا الدور بحيث ورد في الحديث أن تعليم حديث واحد من أحاديثهم أفضل مما بين المشرق والمغرب، وهذه فرصة متاحة للجميع ولا تنحصر بطلاب الحوزة العلمية، ووسائل الاتصال الحديثة أتاحت فرصة واسعة جداً للحركة.

وهكذا تتنوع الخدمة بحسب قابليات الشخص ومؤهلاته، فالبعض يقيم المجالس الحسينية والبعض الآخر يخدم الزوار ويوفّر لهم الطعام وأسباب

---

[١]- منازل الآخرة والمطالب الفاخرة للشيخ عباس القمي: ٢٨٣.

الراحة وسائر الخدمات، أو يشارك في المواكب والشعائر، ووسائل الإعلام تقدّم خدمة بعرض هذه الحركة المباركة التي أقنعت الكثيرين بدراسة مذهب أهل البيت (عليهم السلام) واعتناقه عن معرفة، فانتشر ووصل إلى بلدان لم يكن في المستطاع الجهر فيها بالدعوة إلى أهل البيت (عليهم السلام) في البلاد العربية وغيرها من بلدان العالم، ولا شكّ أن هذه الخدمات ليست أقلّ من عمل ذلك الغلام الذي ذكرته الرواية المتقدمة.

وقد تكون خدمة أهل البيت (عليهم السلام) بمواقف تنصرهم وتعزّ كلمتهم وتقوّي وجود شيعتهم كالقانونين الأخيرين للأحوال الشخصية وفق الفقه الجعفري والمحكمة الجعفرية العليا الذين قدّمهما وزير العدل معالي الشيخ حسن الشمري[1].

ولا نغفل أيضاً عن أن أي خدمة نقدّمها لأحد المؤمنين هي خدمة لأهل البيت (عليهم السلام) لأنهم أولياء أمورهم وآباؤهم المعنويون كما أن أي أب يتشكر عندما تقدّم خدمة لولده، ويتضاعف الجزاء حينما يكون المؤمن من ذرية رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: ﷺ أربعة أنا لهم شفيع يوم القيامة:

---

[1]- نشر نص الكلام حول هذه القضية في بيان صحفي مستقل.

ﷺ المكرم لذريتي، والقاضي لهم حوائجهم، والساعي لهم في أمورهم عندما اضطروا إليه، والمحب لهم بقلبه ولسانه ﷺ.[١]

وفي وصية أمير المؤمنين (عليه السلام) لولده الحسن وجميع ولده وأهل بيته، وفيها: ﷺ الله الله في ذرية نبيكم، فلا يظلمن بحضرتكم وبين ظهرانيكم وأنتم تقدرون على الدفع عنهم ﷺ.[٢]

في أصول الكافي بسنده عن عمر بن يزيد قال: سألت الإمام الصادق (عليه السلام) عن قوله تعالى: (الَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللهُ أَنْ يُوصَلَ)، فقال (عليه السلام): نزلت في رحم آل محمّد (صلى الله عليه وآله).[٣]

إن الالتفات إلى هذه المعاني سيزيد من الحافز والهمّة والحماس للمساهمة في هذه الخدمات الجليلة والله ولي التوفيق.

---

[١]- عيون الأخبار ج ٢ ص ٢٥ باب ٣١.

[٢]- الكافي: ج ٧ ص ٥٢ باب صدقات النبي... ح ٧.

[٣]- الكافي: ج ٢ ص ١٥٦ باب صلة الرحم... ح ٢٨.